رِجَالٌ حَوْلَ الحُسَيْنِ

الجزء الثاني

محمَّد عَلي القطب

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية
الخندق الغميق - ص.ب: 11/8355
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
بيروت - لبنان

• الدار النموذجية
بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221
تلفاكس: 720624 - 729259 - 00961 7 729261
صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية
كفر جرة - طريق عام صيدا - جزين
07 230195 - 00961 7 230841
تلفاكس: 655015 - 632673 - 00961 1 659875
صيدا - لبنان

الطبعة الأولى
2020م - 1441هـ

Copyright© all rights reserved
جميع الحقوق محفوظة للناشر
لا يجوز نشر، أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت ألكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدمًا.

alassrya@terra.net.lb
E. Mail: alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت
www.alassrya.com

المُحتَوَيَاتْ

مُقَدِّمَة 5

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ 7

هَانِئُ بْنُ عُرْوَةَ 19

حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ «عُنْوَانُ الْوَفَاءِ» 35

قَيْسُ بْنُ مُسْهِرٍ 51

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَفِيفٍ الْأَزْدِيُّ 63

زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ 79

بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ 91

عَمْرُو بْنُ قَرَظَةَ 103

وَهْبُ بْنُ الْكَلْبِيِّ 115

سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنَفِيُّ 125

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَبَعْدُ، فَإِنَّ مِنْ دَوَاعِي اعْتِزَازِي بِالْحَقِّ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ أَنْ أُقَدِّمَ «رِجَالٌ حَوْلَ الْحُسَيْنِ» أُولَئِكَ السَّابِقُونَ الَّذِينَ كَانُوا وَقُودَ الثَّوْرَةِ عَلَى الظُّلْمِ وَالِانْحِرَافِ، الثَّوْرَةِ الَّتِي مَا يَزَالُ أُوَارُهَا يَضْطَرِبُ وَيَلْتَهِبُ فِي النُّفُوسِ الْمُتَعَطِّشَةِ إِلَى إِحْقَاقِ الْحَقِّ وَتَرْسِيخِ الْعَدْلِ وَرَفْعِ الْحَيْفِ.

إِنَّ الْبَذْلَ عَطَاءٌ، وَإِنَّ التَّضْحِيَةَ عَطَاءٌ، وَإِنَّ السَّخَاءَ عَطَاءٌ، وَلَكِنَّ الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَسْمَى الْعَطَاءِ.

وَمَا كَانَ مَوْكِبُ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى «كَرْبَلَاءَ» إِلَّا مَوْكِبَ الشَّهَادَةِ يَسْتَحِثُّ الْخُطَى إِلَى الْجَنَّةِ، يُعَبِّدُ طَرِيقَهَا بِالْجُسُومِ، وَيَرْصِفُهَا بِالْأَرْوَاحِ، وَيُبَلِّلُ ثَرَاهَا بِالدِّمَاءِ الزَّكِيَّةِ.

وَلَقَدْ كَانَ مَوْكِبُ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِشْعَلَ الْهِدَايَةِ، وَكَوْكَبَ الرُّؤْيَةِ الْوَاضِحَةِ فِي لَيْلٍ دَاجٍ مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ وَالْمُفْتَرِينَ، وَنِدَاءَةَ حَقٍّ فِي آذَانِ الْعُتَاةِ وَالْمُتَكَبِّرِينَ.

لَقَدْ كَانُوا فِتْيَةً آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَادَهُمُ اللهُ هُدًى، وَرَضِيَ لَهُمُ الشَّهَادَةَ خَاتِمَةً وَالْجَنَّةَ مَوْئِلًا، وبَوَأَّهُمْ مِنْ سِفْرِ التَّارِيخِ وَسِيرَتِهِ صَفْحَةً مُشْرِقَةً وَضَّاءَةً.

وَإِنِّي لَأَرْجُو اللهَ تَعَالَى أَنْ يَنْفَعَ بِهَؤُلَاءِ الْأَعْلَامِ وَالْأَبْطَالِ أَجْيَالَنَا الْمُسْلِمَةَ؛ لِتَهْتَدِيَ بِهَدْيِهِمْ وَتَنْتَهِجَ سَبِيلَهُمْ. وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الْحَقِّ وَيَهْدِيَنَا سَوَاءَ السَّبِيلِ، وَيُوَفِّقَنَا لِبُلُوغِ مَا نَصْبُو إِلَيْهِ مِنْ مَجْدٍ وَعِزَّةٍ وَكَرَامَةٍ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ.

٣٠ جُمَادَى الْأُولَى ١٣٩٤هـ
الْمُوَافِقُ ٢٠ حَزِيرَانَ ١٩٧٤م

السيّد مُوسَى الصَّدْر

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَيْرٍ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾.

كَلِمَةٌ لَا بُدَّ مِنْهَا

إِنَّ فِي قَصَصِ أُولَئِكَ «الرِّجَالِ» لَعِبْرَةً، أُولَئِكَ الَّذِينَ أَقْدَمُوا عَلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ـ عِلْمَ الْيَقِينِ ـ أَنْ لَا أَمَلَ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ وَالْعَيْشِ، أَقْدَمُوا وَرَائِدُهُمُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ؛ الِانْتِصَارُ عَلَى النَّفْسِ، وَالظَّفَرُ عَلَى التَّقَاعُسِ وَالْخِذْلَانِ.

إِنَّ مُجْتَمَعًا مِنَ الْبَشَرِ فِي أَيِّ عَصْرٍ مِنَ الْعُصُورِ قَدْ تَلَاشَتْ مِنْ أَبْنَائِهِ مَعَانِي الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ، وَاسْتِشْرَافِ الْإِبَاءِ وَالسُّؤْدَدِ، وَانْعَدَمَتْ مِنْ نُفُوسِهِمْ أَسْبَابُ الْحُرِّيَّةِ، فَبَاتُوا عَبِيدًا لِلدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، وَصَارُوا كَالسَّائِمَةِ بَلْ أَضَلَّ سَبِيلًا، يُسَاقُونَ بِالْعِصِيِّ، وَيُقَادُونَ بِالصَّرْخَةِ، وَيُحَرَّكُونَ إِلَى حَظَائِرِهِمْ أَوْ مَرَاعِيهِمْ تَحْتَ وَطْأَةِ نَزْوَةٍ طَاغِيَةٍ مُسْتَبِدٍّ.

هَؤُلَاءِ بِحَاجَةٍ إِلَى «دَلِيلٍ» وَإِلَى «رَاعٍ صَالِحٍ»، وَإِلَى «وَقُودٍ» مِنَ الْحُرِّيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ، يَهْدِيهِمْ سَوَاءَ السَّبِيلِ.

فَكَانَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَهْلُ بَيْتِهِ وَرِجَالُهُ دَفْقَةَ الْحَيَاةِ فِي مُجْتَمَعٍ مَوَاتٍ.

***

وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أُولَئِكَ الْأَبْطَالِ الشُّهَدَاءِ، الَّذِينَ اسْتَرْخَصُوا الْحَيَاةَ، وَاسْتَعْذَبُوا الْمَوْتَ، وَاسْتَطَابُوا الشَّهَادَةَ، فَكَانَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَثَرُهُ وَمَوْقِفُهُ وَكَلِمَاتُهُ.

وَإِنِّي لَفِي صَدَدِ الْحَدِيثِ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، قِصَّتُهُ مَعَ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَغْرَبُ مَا قَرَأْتُ، وَأَعْجَبُ مَا عَرَفْتُ. وَلَيْسَ قَوْلِي هَذَا يُقْصَدُ بِهِ التَّقْلِيلُ مِنْ شَأْنِ غَيْرِهِ ـ مَعَاذَ اللهِ ـ فَكُلُّهُمُ ارْتَفَعَ وَسَمَا إِلَى الثُّرَيَّا، وَصَارُوا نُجُومًا مُتَلَأْلِئَةً فِي لَيْلِ (كَرْبَلَاءَ) الدَّاجِي.

قِصَّةُ «عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَيْرٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مَحَطُّ الرِّحَالِ

لَقَدْ طَوَّفَ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَيْرٍ الْكَلْبِيُّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْآفَاقِ مُشَرِّقًا وَمُغَرِّبًا، لَا يَعْرِفُ لَهُ بَلَدًا أَوْ مُسْتَقَرًّا، فَكُلَّمَا دَعَا دَاعِي الْجِهَادِ، شَدَّ إِلَيْهِ دِرْعَهُ، وَامْتَشَقَ حُسَامَهُ وَرُمْحَهُ، وَامْتَطَى فَرَسَهُ، وَانْتَظَمَ فِي صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْمُبَشِّرِينَ بِكَلِمَتِهِ، الرَّافِعِينَ لِرَايَتِهِ.

وَعُرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ فَارِسُ حَلْبَةٍ لَا يُقْهَرُ، وَفَارِسُ مَيْدَانٍ لَا يُغْلَبُ، يُتْقِنُ فُنُونَ الْقِتَالِ، وَيَبْرَعُ فِي الْكَرِّ وَالْفَرِّ.

وَلَقَدْ خَـاضَ أَكْثَرَ مَعَارِكِ الْفَتْحِ فِي فَارِسَ وَفِي شَـرْقِيِّهَا، مُتَوَغِّلًا مَعَ الْجُيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي أَقْصَى تِلْكَ الْبِلَادِ، زَارِعِينَ فِي الْأَرْضِ الْحَضَارَةَ، وَفِي قُلُوبِ النَّاسِ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ.

كَانَ رَحَّالَةً هَمُّهُ أَنْ يَنْشُـرَ الْإِسْـلَامَ فِي كُلِّ صُقْعٍ وَنَادٍ، وَأَنْ يَبْلُغَ نُورُ الْهِدَايَةِ كُلَّ أَرْضٍ أَطْبَقَ عَلَيْهَا ظُلْمُ السُّلْطَانِ وَظَلَامُ الشِّرْكِ وَالْوَثَنِيَّةِ.

وَقَدْ تَحَقَّـقَ لَهُ الْكَثِيرُ مِنْ طُمُوحِهِ وَرَغَبَاتِـهِ، وَهَا هُوَ الْآنَ فِي الْكُوفَةِ (مَحَطِّ الرِّحَالِ) لِلْكَثِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ انْضَوَوْا تَحْتَ لِوَاءِ الْجِهَادِ فِي شَرْقِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ الْعِرَاقِ وَفَارِسَ وَمَا وَرَاءَهُمَا.

اتَّخَذَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْكُوفَةَ سَكَنًا وَمُقَامًا، وَلَكِنْ فِي ضَاحِيَةٍ مِنْهَا تُدْعَى (بِئْرَ الْحَقِّ) مِنْ «هَمْدَانَ»، فَاتَّخَذَ لَهُ دَارًا تُؤْوِيهِ. وَزَوْجَتُهُ «أُمُّ وَهْب بِنْتُ عَبْدٍ» مِنْ قَوْمِ «النَّمِرِ بْنِ قَاسِـطٍ»، وَكَانَتْ نِعْمَ الزَّوْجَـةُ الْمُحِبَّةُ الْوَفِيَّةُ الْمُخْلِصَةُ. أَمَّا نَسَبُهُ فَكَانَ لِـ «بَنِي عُلَيْمٍ».

***

وَفِي يَوْمٍ بَيْنَمَا كَانَ مُنْهَمِكًا فِي عَمَلِهِ سَـمِعَ جَلَبَةً وَصِيَاحًا وَضَوْضَاءَ؛ قَعْقَعَةَ سِـلَاحٍ، وَصَلِيلَ سُـيُوفٍ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْجُمُوعِ سَائِلًا مُسْتَفْسِرًا، فَأُخْبِـرَ بِأَنَّهُمْ طَلِيعَةُ جَيْـشِ «ابْنِ زِيَادٍ» يُعْرَضُونَ لِيُسَـرَّحُوا إِلَى مُلَاقَاةِ «الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَحَجْزِهِ. فَقَالَ:

ـ وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الشِّرْكِ حَرِيصًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا يَكُونَ

جِهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَغْزُونَ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهِمْ أَيْسَرَ ثَوَابًا عِنْدَ اللهِ مِنْ ثَوَابِهِ إِيَّايَ فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ.

ثُمَّ قَفَلَ عَائِدًا إِلَى دَارِهِ وَقَدِ اتَّخَذَ قَرَارَهُ، فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ وَأَخْبَرَهَا بِمَا سَمِعَ، وَأَعْلَمَهَا بِمَا عَزَمَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ، فَقَالَتِ الزَّوْجَةُ الْمُؤْمِنَةُ:

ـ لَقَدْ أَصَبْتَ، أَصَابَ اللهُ بِكَ أَرْشَدَ أُمُورِكَ، افْعَلْ وَأَخْرِجْنِي مَعَكَ.

وَأَخْرِجْنِي مَعَكَ!!

يَا لَرَوْعَةِ الْإِيمَانِ تَتَجَلَّى فِي هَذِهِ الْعِبَارَةِ!!

وَيَا لَرَوْعَةِ الْإِسْلَامِ يَبْدُو فِي حُبِّ آلِ الْبَيْتِ؛ ذَوْدًا عَنْهُمْ، وَدِفَاعًا عَمَّا يَرْمُزُونَ إِلَيْهِ، وَتَضْحِيَةً فِي سَبِيلِهِمُ الَّذِي هُوَ السَّبِيلُ الْحَقُّ، فَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

هَكَذَا فَقِهَتْ «أُمُّ وَهْبٍ» الْإِسْلَامَ...

فِي مَوْكِبِ الْإِيمَانِ

أَعَدَّ «عَبْدُ اللهِ» عُدَّتَهُ، وَهَيَّأَ سِلَاحَهُ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ وَأَرْخَى سُدُولَهُ، خَرَجَ مَعَ زَوْجَتِهِ مِنَ الدَّارِ مُسْتَخْفِيًا، وَوِجْهَتُهُ مُعَسْكَرُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَلَمْ يَكُنِ اسْتِخْفَاؤُهُ رَهْبَةً أَوْ خَوْفًا، وَهُوَ الَّذِي مَا رَهِبَ وَمَا خَافَ أَبَدًا؛ إِذْ تَشْهَدُ لَهُ بِالشَّجَاعَةِ وَالْجُرْأَةِ وَالْإِقْدَامِ كُلُّ الْمَوَاطِنِ الَّتِي قَاتَلَ فِيهَا، وَكُلُّ ظُرُوفِ حَيَاتِهِ الَّتِي عَاشَهَا، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقْصِدُ ضَمَانَ الْوُصُولِ إِلَى ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، فَلَا بُدَّ مِنَ الْحَيْطَةِ وَالْحَذَرِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ لِبُلُوغِ الْغَايَةِ وَالْهَدَفِ.

وَرَاحَ يُغِذُّ السَّيْرَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، حُدَاؤُهُ الْقُرْآنُ، وَغَايَتُهُ رِضَا الرَّحْمَانِ، وَأَنِيسُهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ نَفْسُهُ الْمُؤْمِنَةُ الْمُطْمَئِنَّةُ، حَتَّى بَلَغَ مُعَسْكَرَ الْحُسَيْنِ، فَاسْتَقْبَلَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَاعِيًا لَهُ بِالْخَيْرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ.

وَانْتَظَمَ «عَبْدُ اللهِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي «مَوْكِبِ الْإِيمَانِ»، وَاتَّخَذَ مَوْقِعَهُ وَمَكَانَهُ بَيْنَ إِخْوَانِهِ الْأَبْرَارِ الَّذِينَ نَذَرُوا أَرْوَاحَهُمْ دِفَاعًا عَنِ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَشَجْبًا لِلْبَاطِلِ وَأَعْوَانِهِ.

أَوَّلُ الْمُبَارِزِينَ

كَانَ جَيْشُ «ابْنِ سَعْدٍ» قَدْ لَحِقَ بِطَلِيعَتِهِ الَّتِي يَقُودُهَا «الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ التَّمِيمِيُّ»، فَبَلَغَ تِعْدَادُ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ أَرْبَعَةَ آلَافِ جُنْدِيٍّ فِي مُوَاجَهَةِ الْفِئَةِ الْمُؤْمِنَةِ الَّتِي لَمْ تَزِدْ عَنِ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ نَفَرًا.

وَأَخَذَ «ابْنُ سَعْدٍ» يُجَعْجِعُ بِـ«الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَيُضَايِقُهُ، أَوْ يُرَاسِلُهُ مُسْتَفْسِرًا عَنْ سَبَبِ حُضُورِهِ؛ بِنَاءً عَلَى الْأَوَامِرِ الْمُعْطَاةِ لَهُ مِنِ «ابْنِ زِيَادٍ».

ثُمَّ أَرْسَلَ «ابْنُ سَعْدٍ» كِتَابًا إِلَى «عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ» يَعْرِضُ فِيهِ رَأْيَ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَوُجُوهَ هَذَا الرَّأْيِ الْمُخْتَلِفَةَ، وَكَانَ «شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ» حَاضِرًا مَجْلِسَ «ابْنِ زِيَادٍ» فَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ لَا يَسْتَجِيبَ لِنِدَاءِ السَّلَامِ وَالصُّلْحِ، وَرَاحَ يُوغِرُ صَدْرَ «ابْنِ زِيَادٍ» وَيَغْذُوهُ بِالْحِقْدِ وَالضَّغِينَةِ.

عِنْدَهَا أَرْسَلَ «ابْنُ زِيَادٍ» كِتَابًا يُؤَنِّبُ فِيهِ «ابْنَ سَعْدٍ» عَلَى مَوْقِفِهِ مِنَ «الْحُسَيْنِ»، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَ بِـ «الْحُسَيْنِ» وَأَهْلِهِ وَصَحْبِهِ أُسَارَى، إِنْ رَضَخُوا لِلسِّلْمِ، أَوْ يَقْتُلَهُمْ أَجْمَعِينَ، وَأَلْقَى الْكِتَابَ إِلَى «شَمِرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ» مَعَ التَّفْوِيضِ بِالْإِمَارَةِ إِنْ رَغِبَ «ابْنُ سَعْدٍ» عَنْ تَنْفِيذِ الْمُهِمَّةِ.

وَلَمَّا وَصَلَ «ابْنُ ذِي الْجَوْشَنِ» وَدَفَعَ الْكِتَابَ إِلَى «عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ» فَقَرَأَهُ، آثَرَ الطَّاعَةَ الْخَسِيسَةَ وَالِاسْتِجَابَةَ الذَّلِيلَةَ عَلَى مَوْقِفِ الْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ، وَنَافَسَ «ابْنَ ذِي الْجَوْشَنِ» فِي انْقِيَادِهِ لِلْبَاطِلِ، وَالِانْصِيَاعِ لِلظُّلْمِ. فَأَوْتَرَ قَوْسَهُ بِسَهْمٍ وَرَمَاهُ قَائِلًا:

- أَيُّهَا النَّاسُ اشْهَدُوا أَنِّي أَوَّلُ مَنْ رَمَى.

وَأَمَرَ الْجُنْدَ بِالرَّمْيِ.

ثُمَّ خَرَجَ مِنْ صُفُوفِ «عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ» رَجُلٌ يُدْعَى «يَسَارًا» هُوَ مَوْلَى «زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ»، وَآخَرُ يُدْعَى «سَالِمًا» هُوَ مَوْلَى «عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ»، وَقَالَا لِرِجَالِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- مَنْ يُبَارِزُ؟ لِيَخْرُجْ إِلَيْنَا بَعْضُكُمْ.

فَوَثَبَ «حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ» وَ«بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ» يُرِيدَانِ الْمُوَاجَهَةَ، فَقَالَ لَهُمَا «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- اجْلِسَا...

عِنْدَئِذٍ قَامَ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَيْرٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ:

- يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ.. رَحِمَكَ اللهُ، ائْذَنْ لِي فَلْأَخْرُجْ إِلَيْهِمَا.

وَكَانَ «عَبْدُ اللهِ» رَجُلًا آدَمَ طَوِيلًا، شَدِيدَ السَّاعِدَيْنِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، فَقَالَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- إِنِّي لَأَحْسَبُهُ لِلْأَقْرَانِ قَتَّالًا، اخْرُجْ إِنْ شِئْتَ.

فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَقَالَا لَهُ:

- مَنْ أَنْتَ؟

فَقَالَ:

- أَنَا «عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَيْرٍ الْكَلْبِيُّ» مِنْ بَنِي عُلَيْمٍ.

فَقَالَا:

- نَحْنُ لَا نَعْرِفُكَ، لِيَخْرُجْ إِلَيْنَا «زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ» أَوْ «حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ» أَوْ «بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ».

فَقَالَ «عَبْدُ اللهِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِـ «يَسَارٍ»:

- يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ، وَبِكَ رَغْبَةٌ عَنْ مُبَارَزَةِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَمَا يَخْرُجُ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَهُوَ خَيْرٌ مِنْكَ.

ثُـــمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ وَثْبَةً خَاطِفَةً، كَأَنَّهُ الصَّاعِقَةُ خَرَّتْ مِنَ السَّـــمَاءِ! وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَأَجْهَزَ عَلَيْهِ. وَبَيْنَمَا هُوَ فِي مَوْقِفِهِ هَذَا، مُشْتَغِلٌ بِضَرْبِ «يَسَارٍ» إِذْ شَدَّ عَلَيْهِ «سَالِمٌ»، فَأُنْذِرَ مِنْ قِبَلِ أَصْحَابِهِ:

ـ قَدْ رَهَقَكَ الْعَبْدُ.

فَلَمْ يَأْبَهْ لَهُ حَتَّى غَشِـــيَهُ فَبَدَرَهُ الضَّرْبَةَ، فَاتَّقَاهُ «عَبْدُ اللهِ» بِيَدِهِ الْيُسْرَى، فَطَارَتْ أَصَابِـعُ كَفِّهِ، وَسَالَتْ دِمَاؤُهَا، عِنْدَئِذٍ مَالَ عَلَى «سَالِمٍ» وَمَا زَالَ يَضْرِبُهُ حَتَّى قَتَلَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَرْتَجِزُ:

إِنْ تُنْكِـــرُونِي فَأَنَا ابْـــنُ «كَلْـــبِ»
حَسْـــبِيَ بَيْتِي فِي «عُـــلَيْمٍ» حَسَبِي
إِنِّي امْـــرُؤٌ ذُو مِـــرَّةٍ وَعَضْـــبِ
وَلَسْـــتُ بِالْخَـــوَّارِ عِنْـــدَ النَّكَـبِ
إِنِّي زَعِـــيمٌ لَكِ «أُمَّ وَهْـــبِ»
بِالطَّعْـــنِ فِيهِـــمْ مُقْدِمًا وَالضَّرَبِ
ضَـــرْبَ غُـــلَامٍ مُـــؤْمِنٍ بِالـــرَّبِّ

❊❊❊

وَهَلْ يَفُوتُنَـــا أَنْ نَذْكُرَ دَوْرَ «أُمِّ وَهْبٍ» زَوْجَةِ «عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَيْرٍ» الَّتِي قَالَتْ: أَخْرِجْنِي مَعَكَ؟!

لَقَدْ رَأَتْ زَوْجَهَا وَقَدْ قُطِعَتْ أَصَابِـــعُ يُسْـــرَاهُ، وَنَزَفَتْ مِنْهَا الدِّمَاءُ، وَخَشِـــيَتْ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَيْهِ خَصْمُهُ، فَثَارَتْ ثَائِرَتُهَا، فَنَظَرَتْ حَوْلَهَا تَبْغِي

سِلَاحًا تَخُوضُ بِهِ مَعْرَكَةَ الشَّـــرَفِ مَعَ زَوْجِهَا، فَلَمْ تَجِدْ شَيْئًا، ثُمَّ وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَى عَمُـــودٍ، فَحَمَلَتْهُ وَأَقْبَلَتْ نَحْوَ زَوْجِهَا كَـــيْ تَقِفَ إِلَى جَانِبِهِ تَحْمِيهِ، وَأَخَذَتْ تَقُولُ لَهُ:

- فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! قَاتِلْ دُونَ الطَّيِّبِينَ ذُرِّيَّةِ مُحَمَّدٍ.

فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا يَرُدُّهَا نَحْوَ النِّسَاءِ، فَأَبَتْ، وَأَخَذَتْ تُجَاذِبُهُ ثَوْبَهُ، وَقَالَتْ:

- إِنِّي لَنْ أَدَعَكَ دُونَ أَنْ أَمُوتَ مَعَكَ.

وَحَاوَلَ «عَبْدُ اللهِ» رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ أَنْ يَرُدَّهَا حِرْصًا عَلَيْهَا؛ كَيْ يَتَفَرَّغَ لِخَصْمِهِ الَّذِي يَتَرَبَّصُ بِهِ الدَّوَائِرَ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى!

ثُمَّ جَاءَهَا نِدَاءُ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- جُزِيتُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا، ارْجِعِي، رَحِمَكِ اللهُ، إِلَى النِّسَاءِ فَاجْلِسِي مَعَهُنَّ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَى النِّسَاءِ قِتَالٌ.

فَأَنْصَتَتْ، ثُمَّ أَطَاعَتْ، وَعَادَتْ إِلَى الْخِبَاءِ.

قُدْوَةُ الْمُجَاهِدَاتِ

يُذَكِّرُنِـــي مَوْقِفُهَا - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - بِمَوْقِـــفِ الصَّحَابِيَّةِ الْجَلِيلَةِ «أُمِّ عِمَارَةَ» «نَسِـــيبَةَ بِنْتِ كَعْبٍ الْمَازِنِيَّةِ» وَدِفَاعِهَا عَنِ رَسُولِ اللهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـــلَّمَ» يَـــوْمَ أُحُدٍ وَقَدِ انْهَزَمَ الرِّجَالُ، فَحَمَلَتْ سَـــيْفَ أَحَدِ

الْمُنْهَزِمِينَ، وَوَقَفَتْ دِرْعًا مَنِيعَةً تَتَلَقَّى الرِّجَالَ دُونَ رَسُــولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ لَهَا رَسُولُ اللهِ:

- جُزِيتُمْ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا.

فَتَقُولُ لَهُ «نَسِيبَةُ»:

- ادْعُ اللهَ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ؛ كَيْ نَكُونَ رُفَقَاءَكَ فِي الْجَنَّةِ.

فَيَقُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رُفَقَائِي فِي الْجَنَّةِ.

فَتَقُولُ «نَسِيبَةُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

- لَا أُبَالِي بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَوْتِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ أَتَى.

الشَّهِيدَانِ

وَحِينَ الْتَحَمَ الطَّرَفَانِ فِي قِتَالٍ غَيْرِ مُتَكَافِئٍ عُدَّةً وَعَدَدًا، كَانَ «عَبْدُ اللهِ ابْنُ عُمَيْرٍ» يَخُوضُ غَمَرَاتِ الْوَغَى، وَيَشُقُّ الصُّفُوفَ حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَهَا، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى جَانِبِ «الْحُسَــيْنِ» رَضِــيَ اللهُ عَنْهُ يَتَّقِيهِ بِنَفْسِــهِ، وَيَحْمِيهِ بِجِسْمِهِ، وَيَذُودُ عَنْهُ بِسَيْفِهِ، وَيَدُهُ الْيُسْرَى مَغْلُولَةٌ عَنِ الْحَرَكَةِ، تُؤْلِمُهُ فَلَا يُبَالِي، حَتَّى أَثْخَنَتْهُ الْجِرَاحُ، وَسَقَطَ مُضَرَّجًا بِالدِّمَاءِ يَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ.

فَخَرَجَتْ «أُمُّ وَهْبٍ» إِلَى زَوْجِهَا «عَبْدِ اللهِ» حَتَّى جَلَسَــتْ عِنْدَ رَأْسِهِ، ثُمَّ احْتَضَنَتِ الرَّأْسَ، وَأَخَذَتْ تَمْسَحُ عَنْهُ التُّرَابَ وَتَقُولُ لَهُ:

- هَنِيئًا لَكَ الْجَنَّةُ...

وَذَرَفَتْ دُمُوعًا غَزِيرَةً، وَبَكَتْ بُكَاءً مُرًّا.

وَرَآهَا «شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ» الْحَاقِدُ اللَّئِيمُ؛ فَقَالَ لِغُلَامٍ مَعَهُ يُسَمَّى «رُسْتُمَ»:

- اضْرِبْ رَأْسَهَا بِالْعَمُودِ الَّذِي كَانَتْ تَحْمِلُهُ.

فَضَرَبَهَا عَلَى رَأْسِهَا ضَرْبَةً شَدِيدَةً، فَشَدَخَهُ.

فَسَقَطَتْ فَوْقَ جُثَّةِ زَوْجِهَا هَامِدَةً لَا حِرَاكَ بِهَا.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً

... وَإِنَّهُ لَمَنْظَرٌ كُلُّهُ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ؛ شَهِيدٌ مُسَجَّى، وَشَهِيدَةٌ بِإِزَائِهِ، جَمَعَتْ بَيْنَهُمَا وِسَادَةُ الْحَيَاةِ رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ، وَذَاقَا مِنَ الْعَيْشِ حَلَاوَتَهُ وَمَرَارَتَهُ، وَهَا هُمَا الْآنَ يَتَوَسَّدَانِ الثَّرَى مُضَرَّجَيْنِ بِالدِّمَاءِ! لَقَدْ أَعْرَسَتْ بِهِمَا الشَّهَادَةُ مُجَدَّدًا...

رَضِيَ اللهُ عَنِ الشَّهِيدَيْنِ الْخَالِدَيْنِ «عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَيْرٍ الْكَلْبِيِّ» وَ«أُمِّ وَهْبٍ»، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَثْوَاهُمَا، وَأَنْزَلَهُمَا مِنْ لَدُنْهُ تَعَالَى مَنْزِلًا مُبَارَكًا، وَجَمَعَنَا بِهِمْ مَعَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِهِ.

هَانِئُ بْنُ عُرْوَةَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

❊❊❊

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ».

تَوْطِئَةٌ

... وَكَأَنِّـي بِـ «هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ» رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ فِي مَوْقِفِ الدِّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ وَمُقَارَعَةِ الْبَاطِلِ وَاسْتِقْبَالِ الْمَوْتِ يُرَدِّدُ مَعَ الشَّاعِرِ قَوْلَهُ:

وَتَجَـلُّـدِي لِلشَّـامِتِيـنَ أُرِيهِـمُ
أَنِّي لِرَيْـبِ الدَّهْـرِ لَا أَتَضَعْضَعُ
وَإِذَا الْمَنِيَّـةُ أَنْشَبَـتْ أَظْفَـارَهَا
أَلْفَـيْتَ كُـلَّ تَمِيـمَـةٍ لَا تَنْفَـعُ
هُوَ الْمَـوْتُ لَا مَنْجَا مِنَ الْمَـوْتِ وَالَّذِي
نُحَاذِرُ بَعْـدَ الْمَوْتِ أَدْهَى وَأَفْظَـعُ

نَسَبُهُ

هُوَ: «هَانِئُ بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الْفَضْفَاضِ بْـنِ عِمْرَانَ الْغُطَيْفِيُّ الْمُرَادِيُّ»، مِنْ طَبَقَةِ التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَدَّوْا قِسْطَهُمْ لِلْعُلَى دِينًا وَخُلُقًا وَكِفَاحًا فِي نُصْرَةِ الْحَقِّ، وَاسْتِشْهَادًا فِي سَبِيلِهِ.

مَكَانَتُهُ

مَا إِنِ اسْــتَبَدَّ «مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُــفْيَانَ» بِالشَّــامِ، وَخَلَــعَ طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «أَبِي الْحَسَــنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حَتَّى كَانَ «هَانِئُ بْنُ عُرْوَةَ» فِي طَلِيعَةِ الَّذِينَ انْضَوَوْا تَحْتَ لِوَاءِ «عَــلِيٍّ» وَقَاتَلُوا الْفِئَةَ الْبَاغِيَةَ، وَلَمْ يَكُنْ شَأْنُهُ مَعَ «الْإِمَامِ» شَــأْنَ الْجُنْدِيِّ الْعَادِيِّ، أَوِ الْفَارِسِ الْمُغَامِرِ الْجَرِيءِ الَّذِي يُعْتَمَدُ عَلَى فَنِّهِ وَشَــجَاعَتِهِ فَحَسْــبُ، بَلْ كَانَ مِنَ الْخَوَاصِّ الَّذِينَ يُرْكَنُ إِلَيْهِمْ وَيُؤْخَذُ بِرَأْيِهِمْ وَمَشُورَتِهِمْ؛ فَقَدْ كَانَ «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» رَاجِحَ الْعَقْلِ، وَافِرَ الْعِلْمِ، سَــيِّدًا فِي قَوْمِهِ، مُطَاعًا بَيْنَ أَهْلِهِ وَعَشِــيرَتِهِ، وَاسِعَ الثَّرَاءِ، مَلَاذًا لِلَّاجِئِينَ، وَأَمْنًا لِلْخَائِفِينَ.

جِهَادُهُ

قَاتَــلَ مَعَ «الْإِمَــامِ» فِي مَعْرَكَةِ «الْجَمَلِ» وَفِي «صِفِّيــنَ» وَفِي «النَّهْرِ»، وَأَبْــدَى فِي كُلٍّ مِنْهَــا أَرْوَعَ الْبُطُــولَاتِ، وَسَــجَّلَ فِي صَفَحَاتِهَا أَخْلَدَ الْأَعْمَــالِ وَأَمْجَدَهَــا، وَوَقَفَ إِلَى جَانِــبِ «الْإِمَامِ» يَدْحَضُ شُــبُهَاتِ الْمُضَلِّلِينَ وَافْتِرَاءَاتِ الْمُغْتَرِّينَ يَوْمَ «صِفِّينَ»، وَيُحَاوِلُ بِكُلِّ وَسِــيلَةٍ أَنْ

يَرُدَّ كَيْدَ الْكَائِدِينَ وَخُدْعَةَ الْمُخَادِعِينَ، وَإِقْنَاعَ مَنْ وَقَعُوا فَرِيسَةَ الْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى. وَثَبَتَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ الثَّابِتِينَ.

وَظَلَّ بَعْدَ ذَلِكَ جَوَّابَ آفَاقٍ مَعَ «الْإِمَامِ» يَتْبَعُهُ كَظِلِّهِ.

وَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، اخْتَارَ اللهُ تَعَالَى إِلَى جِوَارِهِ الْكَرِيمِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شَهِيدًا فِي الْخَالِدِينَ.

وَكَانَ حُزْنُ «هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ» بَالِغًا لَا يُوصَفُ، وَثَقِيلًا لَا يُوزَنُ، وَنَزَلَ بِهِ هَمٌّ شَدِيدٌ لِفِرَاقِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبِهِمْ إِلَى قَلْبِهِ وَنَفْسِهِ، فَاعْتَزَلَ النَّاسَ وَقَدْ رَأَى الْفِتَنَ يَرْدُفُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَمَقَايِيسَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ قَدْ جُعِلَ عَالِيهَا سَافِلَهَا.

وَابْتَنَى فِي «الْكُوفَةِ» دَارًا وَاتَّخَذَهَا مُقَامًا، وَظَلَّ عَلَى وَفَائِهِ لِلْحَقِّ الَّذِي آمَنَ بِهِ، وَكَافَحَ طَوَالَ حَيَاتِهِ فِي سَبِيلِهِ، وَأَضْحَتْ دَارُهُ مَقْصِدَ النَّاسِ، وَكَهْفَ الْمَظْلُومِينَ.

وَفِي يَوْمٍ طَرَقَ بَابَهُ طَارِقٌ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَأَحْسَنَ وِفَادَتَهُ، وَكَانَ هَذَا الزَّائِرُ «كُثَيِّرَ بْنَ شِهَابٍ الْمَذْحِجِيَّ» وَالِي «خُرَاسَانَ» مِنْ قِبَلِ «مُعَاوِيَةَ» وَقَدِ اتُّهِمَ بِاخْتِلَاسِ أَمْوَالِ الْإِمَارَةِ، فَأَهْدَرَ «مُعَاوِيَةُ» دَمَهُ، فَلَجَأَ إِلَى «هَانِئٍ» يَحْتَمِي عِنْدَهُ.

اسْتَمَعَ «هَانِئٌ» إِلَى قِصَّةِ «كُثَيِّرٍ» فَفَكَّرَ: مَاذَا يَفْعَلُ؟ وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ؟ وَلَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ حِمَايَةِ الرَّجُلِ الَّذِي آوَى إِلَيْهِ وَاسْتَغَاثَ بِهِ.

وَلَيْسَ بِمَقْدُورِهِ أَنْ يَفْعَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ طُبِعَ عَلَى الْوَفَاءِ وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَقْتَلُهُ!

وَلَقَدْ زَادَ الْأَمْرُ تَعْقِيدًا عِنْدَمَا بَلَغَهُ أَنَّ «مُعَاوِيَةَ» قَدْ أَهْدَرَ دَمَهُ هُوَ أَيْضًا لِإِيوَائِهِ لِـ «كُثَيِّرٍ»، فَفَكَّرَ وَأَمْعَنَ التَّفْكِيرَ، ثُمَّ أَقْدَمَ عَلَى أَمْرٍ فِيهِ مُغَامَرَةٌ خَطِيرَةٌ قَدْ تُودِي بِحَيَاتِهِ؛ لَقَدْ عَزَمَ عَلَى السَّفَرِ إِلَى دِمَشْقَ وَمُقَابَلَةِ «مُعَاوِيَةَ» وَالتَّحَدُّثِ إِلَيْهِ فِي هَذَا الشَّأْنِ!

وَلَمْ يَكُنْ «مُعَاوِيَةُ» يَعْرِفُ صُورَةَ «هَانِئ» أَوْ وَجْهَهُ؛ إِذْ لَمْ يَتَقَابَلَا مِنْ قَبْلُ.

وَحَضَرَ «هَانِئٌ» إِلَى دِمَشْقَ، وَدَخَلَ مَجْلِسَ «مُعَاوِيَةَ» الَّذِي يَسْتَمِعُ فِيهِ إِلَى النَّاسِ وَأُمُورِهِمْ وَقَضَايَاهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ «مُعَاوِيَةُ» قَدْ حَضَرَ بَعْدُ، فَلَمَّا دَخَلَ «مُعَاوِيَةُ» وَقَفَ جَمِيعُ النَّاسِ تَعْظِيمًا لَهُ إِلَّا «هَانِئَ بْنَ عُرْوَةَ» ظَلَّ ثَابِتًا فِي مَكَانِهِ! وَحَدَّقَ فِيهِ «مُعَاوِيَةُ» ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ شَخْصِهِ وَمَاذَا يُرِيدُ، فَعَرَّفَهُ «هَانِئٌ» بِنَفْسِهِ دُونَ وَجَلٍ أَوْ رَهْبَةٍ!

فَقَالَ «مُعَاوِيَةُ»:

- وَأَيْنَ الْمَذْحِجِيُّ؟

يَعْنِي «كُثَيِّرَ بْنَ شِهَابٍ الْمَذْحِجِيَّ»، وَالِيَ خُرَاسَانَ.

فَقَالَ «هَانِئٌ»:

ـ هُوَ عِنْدي!!

فَلَمَّا رَأَى «مُعَاوِيَةُ» أَنَّهُ أَمَامَ طِرَازٍ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ الْخَوْفَ وَلَا يَرْهَبُونَ الْمَوْتَ، والَّذِينَ يُقَدِّسُونَ مَعْنَى الذِّمَامِ وَكَلِمَةَ الْوَفَاءِ، قَالَ لِـ «هَانِئ»:

ـ انْظُرْ مَا اخْتَانَهُ ـ مِنَ الْمَالِ ـ فَخُذْ مِنْهُ ـ أَيْ كُثَيِّرٌ ـ بَعْضًا، وَسَوِّغْهُ بَعْضًا.

وَخَرَجَ «هَانِئٌ» كَمَا دَخَلَ مَرْفُوعَ الرَّأْسِ عَالِيَ الْجَبِينَ لَمْ يُمَسَّ فِي نَفْسِهِ وَلَا فِي ضَيْفِهِ، وَعَادَ إِلَى الْكُوفَةِ يَحْمِلُ كَلِمَةَ الْبَرَاءَةِ لِـ «كُثَيِّرٍ» الَّذِي أُفْرِخَ رَوْعُهُ وَذَهَبَ هَلَعُهُ، وَعَادَتْ إِلَيْهِ طُمَأْنِينَتُهُ، فَشَكَرَ مُنْقِذَهُ.

❊❊❊

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَ«هَانِئٌ» فِي الْكُوفَةِ يَرْقُبُ الْأَحْدَاثَ وَيُشَارِكُ فِيهَا، وَاسْتَقْطَبَ النَّاسَ وَاسْتَحْوَذَ عَلَى إِعْجَابِهِمْ وَاحْتِرَامِهِمْ فِي تِلْكَ النَّاحِيَةِ مِنْ دِيَارِ الْإِسْلَامِ، وَلَقَدْ عُدَّ بِحَقٍّ مِنْ أَشْرَافِهَا وَسَادَتِهَا، وَبَاتَتْ دَارُهُ فِيهَا مَوْئِلَ الْمُضْطَهَدِينَ وَالْمُعَذَّبِينَ.

مَرَّتِ الْأَيَّامُ... وَتَنَازَلَ «الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ حَقْنًا لِلدِّمَاءِ وَإِيثَارًا لِسَلَامَةِ النَّاسِ وَأَرْوَاحِهِمْ مِنْ أَنْ تُزْهَقَ وَتُسْفَحَ عَلَى أَيْدِي الظَّلَمَةِ وَأَعْوَانِهِمْ مِنَ الْأُمَوِيِّينَ وَعُمَّالِهِمْ.

وَمَاتَ «مُعَاوِيَةُ» ... وَرَفَضَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُبَايَعَةَ «يَزِيدَ

ابْنِ مُعَاوِيَةَ»، وَسَـرَى نَبَأُ خُرُوجِ «الْحُسَيْنِ» مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ وَلُجُوئِهِ إِلَى بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ، فِي الْأَمْصَارِ. وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ فِي بَيْتِ الصَّحَابِيِّ «سُـلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ» وَتَكَاثَرُوا، وَكَانَ فِيهِمْ «هَانِـئُ بْنُ عُرْوَةَ» فَأَظْهَرُوا غَضْبَتَهُمْ لِمُبَايَعَةِ «يَزِيدَ» وَحَمَاسَهُمْ لِمَوْقِفِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَكَتَبُوا كُتُبًا وَرَسَـائِلَ يُؤَيِّدُونَ فِيهَا الْإِمَامَ السِّـبْطَ فِي مَوْقِفِهِ وَيُشَجِّعُونَهُ عَلَيْهِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَيْهِمْ؛ كَيْ يَكُونَ عِنْدَهُمْ فِي مَنَعَةٍ وَأَمْنٍ، وَأَرْسَـلُوهَا مَعَ رُسُلِهِمُ الَّذِينَ أَخَذُوا فِي التَّوَافُدِ إِلَى مَكَّةَ.

وَأَرْسَلَ «الْحُسَـيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ ضَغْطِ تِلْكَ الرَّسَائِلِ وَالْكُتُبِ ابْنَ عَمِّهِ «مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ»؛ لِيَسْـتَوْضِحَ لَهُ الْأُمُورَ، وَيَأْخُذَ لَهُ الْبَيْعَةَ مِنَ النَّاسِ.

وَلَقَدْ وَصَلَ «مُسْـلِمُ بْنُ عَقِيـلٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْـهُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَرَأَى حَمَاسَ النَّاسِ وَجُمُوعَهُمُ الْغَفِيرَةَ، وَتَكَاثُرَهُمْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، فَأَرْسَلَ إِلَى «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُبَشِّرُهُ وَيَدْعُوهُ لِلْحُضُورِ.

كَمَا أَرْسَـلَ بَعْضُ أَنْصَـارِ «يَزِيدَ» يُنْبِئُونَـهُ بِمَا حَـدَثَ، وَيُنْذِرُونَهُ بِاسْـتِفْحَالِ الْأَمْرِ، وَيَطْعَنُونَ فِي تَهَاوُنِ أَمِيرِ الْكُوفَةِ «النُّعْمَانِ بْنِ بَشِـيرٍ» إِزَاءَ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ».

فَوَلَّى «يَزِيدُ» «عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ» عَلَى الْكُوفَةِ، وَعَزَلَ عَنْهَا «النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ».

كَانَ أَهْــلُ الْكُوفَةِ يَرْقُبُونَ قُدُومَ «الْحُسَــيْنِ» رَضِــيَ اللهُ عَنْهُ، وَصَلَّى النَّاسُ الْجُمُعَةَ وَانْصَرَفُوا مِنَ الصَّلَاةِ... فَرَأَوْا رَكْبًا قَادِمًا يَتَوَسَّطُهُ رَجُلٌ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ، عَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ وَعِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، مُتَلَثِّمًا، وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ مِنْ خَيْزُرَانٍ، فَهُرِعُوا إِلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِقَضِيبِهِ، فَقَالُوا لَهُ:

ـ قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدِمٍ يَا ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ.

وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، وَصَارَ لَا يَمُرُّ بِمَلَأٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِمْ، وَهُمْ يَرُدُّونَ التَّحِيَّةَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ، وَانْطَلَقَ النَّاسُ خَلْفَهُ حَتَّى إِذَا مَا اقْتَرَبَ مِنْ قَصْرِ الْإِمَارَةِ الْتَفَتَ «مُسْــلِمُ بْنُ عَمْــرٍو الْبَاهِلِيُّ» إِلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ:

ـ تَأَخَّرُوا يَا وَيْلَكُمْ عَنِ وَجْهِ الْأَمِيرِ، فَلَيْسَ هُوَ ظَنَّكُمْ وَطِلْبَتَكُمْ.

وَسَمِعَ «النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ» ضَوْضَاءَ النَّاسِ، فَأَشْرَفَ مِنْ أَعْلَى الْقَصْرِ، وَأَسْــفَرَ الرَّاكِبُ عَنْ وَجْهِهِ، فَامْتَعَضَ الْجَمْعُ، وَلَاحَتْ عَلَى وُجُوهِهِمْ خَيْبَــةُ الْأَمَلِ؛ فَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ «عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ» وَلَمْ يَكُنِ «الْحُسَــيْنَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَدَخَلَ «عُبَيْدُ اللهِ» الْقَصْرَ، وَقَالَ لِـ«النُّعْمَانِ»:

ـ يَا «نُعْمَانُ» حَصَّنْتَ قَصْرَكَ وَتَرَكْــتَ مِصْرَكَ، نَادِ فِي النَّاسِ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ.

فَنَادَى، فَاجْتَمَعَ خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَقَالَ:

- أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَإِنَّنِي أُعَرِّفُهُ بِنَفْسِي، أَنَا «عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَـادٍ»، وَقَدْ وَلَّانِي مِصْرَكُمْ هَـذَا «يَزِيدُ»، وَأَمَرَنِي بِالْإِنْصَافِ لِلْمَظْلُومِ وَإِعْطَاءِ الْمَحْرُومِ وَالْإِحْسَـانِ إِلَى مُسِيئِكُمْ، وَأَنَا مُتَّبِـعٌ فِيكُمْ أَمْرَهُ.

ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمِنْبَرِ، وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ:

- اثْبُتُوا عَلَى بَيْعَةِ «يَزِيدَ» مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْكُمْ مِنَ الشَّامِ رِجَالًا يَقْتُلُونَ رِجَالَكُمْ وَيَسْبُونَ نِسَاءَكُمْ!

فَسَرَتْ بَيْنَ النَّاسِ هَمْهَمَةٌ:

- مَا لَنَا وَالدُّخُولِ بَيْنَ السَّلَاطِينِ!!

❊❊❊

وَأَصْبَحَ «مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَوْعُوكًا فَلَمْ يَخْرُجْ لِلصَّلَاةِ، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ الظُّهْرِ خَرَجَ إِلَى الْمَسْـجِدِ فَأَذَّنَ وَأَقَـامَ، فَلَمْ يَأْتِهِ أَحَدٌ، فَصَـلَّى وَحْدَهُ، وَقَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ يَؤُمُّ الْأُلُـوفَ! فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ إِذَا هُوَ بِغُلَامٍ، فَقَالَ لَهُ:

- يَا غُلَامُ... مَا فَعَلَ أَهْلُ هَذَا الْمِصْرِ؟

فَقَالَ الْغُلَامُ:

- إِنَّهُمْ نَقَضُوا بَيْعَةَ «الْحُسَيْنِ» وَبَايَعُوا لِـ «يَزِيدَ»!

فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَ الْغُلَامِ صَفَّقَ يَدًا عَلَى يَدٍ، وَخَرَجَ يَخْتَرِقُ الشَّوَارِعَ، وَلَمْ يَعُدْ إِلَى دَارِ «سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ»؛ حَيْثُ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى دَارِ الْإِمَامَةِ مَعَ بَعْضِ السَّادَةِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مُسَلِّمِينَ عَلَى «عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ».

وَمَا زَالَ «مُسْلِمٌ» فِي تَطْوَافِهِ حَتَّى بَلَغَ مَحِلَّةَ «بَنِي خُزَيْمَةَ»، فَوَقَفَ هُنَاكَ بِإِزَاءِ بَيْتٍ شَاهِقٍ، عَالِي الْبُنْيَانِ، فَقَرَعَ الْبَابَ فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ جَارِيَةٌ، فَقَالَ لَهَا:

- ادْخُلِي عَلَى سَيِّدِكِ وَقُولِي لَهُ: رَجُلٌ بِالْبَابِ، فَإِنْ سَأَلَكِ عَنِ اسْمِي فَقُولِي لَهُ: «مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ».

كَانَتِ الدَّارُ دَارَ «هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ»، وَلَمْ يُرِدْ «مُسْلِمٌ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَقْتَحِمَ الدَّارَ عَلَى صَاحِبِهَا، وَيَفْرِضَ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وَيُرْغِمَهُ عَلَى قَبُولِهِ عِنْدَهُ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُغَامَرَةٍ وَخُطُورَةٍ، بَلْ أَحَبَّ أَنْ يَسْتَوْثِقَ مِنْ رَغْبَةِ «هَانِئٍ» بِهِ وَبِإِيوَائِهِ، أَوْ عَدَمِ رَغْبَتِهِ فِي ذَلِكَ؛ ضَنًّا بِنَفْسِهِ وَإِيثَارًا لِلسَّلَامَةِ.

غَابَتِ الْجَارِيَةُ قَلِيلًا، ثُمَّ عَادَتْ لِتَقُولَ لَهُ:

- ادْخُلْ يَا سَيِّدِي.

دَخَلَ «مُسْلِمٌ» فَأَلْقَى «هَانِئًا» عَلِيلًا؛ فَأَرَادَ «هَانِئٌ» أَنْ يَعْتَنِقَهُ فَلَمْ يَقْدِرْ، وَجَلَسَا يَتَحَدَّثَانِ حَتَّى أَتَى حَدِيثُهُمَا إِلَى «عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ»، فَأَظْهَرَ «مُسْلِمٌ» كُرْهًا لِحُضُورِهِ إِلَى الْكُوفَةِ؛ فَقَالَ «هَانِئٌ»:

- سَيَبْلُغُهُ مَرَضِي، وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّهُ سَأَلَ عَنْ سَبَبِ غِيَابِي عَنِ اسْتِقْبَالِهِ فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ، وَرُبَّمَا يَأْتِي يَعُودُنِي؛ فَخُذْ هَذَا السَّيْفَ وَادْخُلِ الْمِخْدَعَ، فَإِذَا جَلَسَ فَدُونَكَ فَاقْتُلْهُ، وَاحْذَرْ أَنْ يَفُوتَكَ، فَإِنْ فَاتَكَ قَتَلَكَ وَقَتَلَنِي، وَالْعَلَامَةُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ إِذَا قَلَعْتُ عِمَامَتِي عَنْ رَأْسِي وَوَضَعْتُهَا عَلَى الْأَرْضِ، فَإِذَا رَأَيْتَ ذَلِكَ فَاخْرُجْ إِلَيْهِ وَاقْتُلْهُ.

قَالَ «مُسْلِمٌ»:

- أَفْعَلُ.

وَاتَّفَقَا عَلَى ذَلِكَ؛ وَبَاتَ «مُسْلِمٌ» فِي دَارِ «هَانِئ» مُكَرَّمًا مُعَزَّزًا.

ثُمَّ أَرْسَلَ «عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زِيَادٍ» إِلَى «هَانِئ» يَقُولُ:

- مَا عَلِمْتُ بِعِلَّتِكَ، وَإِنِّي رَائِحٌ إِلَيْكَ الْعَشِيَّةَ.

فَلَمَّا صَلَّى «ابْنُ زِيَادٍ» الْعِشَاءَ، أَقْبَلَ يَعُودُ «هَانِئًا» وَمَعَهُ حَاجِبُهُ. فَقِيلَ لِـ «هَانِئ»:

- «ابْنُ زِيَادٍ» بِالْبَابِ يُرِيدُ الدُّخُولَ عَلَيْكَ.

فَقَالَ «هَانِئٌ» لِجَارِيَتِهِ:

- ادْفَعِي السَّيْفَ لِـ «مُسْلِمٍ».

وَدَخَلَ «ابْنُ زِيَادٍ» وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِ «هَانِئ» وَحَاجِبُهُ قَائِمٌ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يُحَادِثُهُ وَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ، وَ«هَانِئٌ» يَشْكُو إِلَيْهِ الَّذِي يَجِدُهُ مِنَ الْمَرَضِ، ثُمَّ خَلَعَ عِمَامَتَهُ وَوَضَعَهَا عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ أَعَادَهَا إِلَى رَأْسِهِ،

وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَ«مُسْلِمٌ» لَمْ يَخْرُجْ، وَقَامَ «ابْنُ زِيَادٍ» وَانْصَرَفَ!

فَخَرَجَ «مُسْلِمٌ» مِنَ الْمِخْدَعِ، فَقَالَ لَهُ «هَانِئٌ»:

- مَا الَّذِي مَنَعَكَ مِنْ قَتْلِهِ؟

فَقَالَ «مُسْلِمٌ»:

- مَنَعَنِي خَبَرٌ سَمِعْتُهُ عَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: «الْإِيمَانُ ضِدُّ الْفَتْكِ، لَا يَفْتِكُ مُؤْمِنٌ».

فَقَالَ «هَانِئٌ»:

- لَوْ قَتَلْتَهُ لَقَتَلْتَ كَافِرًا.

وَلَقَدْ كَانَ لِكُلٍّ مِنَ الرَّجُلَيْنِ الْمُؤْمِنَيْنِ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» وَ«هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ» اجْتِهَادُهُ وَنَظْرَتُهُ.

***

وَبَلَغَ «ابْنُ زِيَادٍ» قَصْرَ الْإِمَارَةِ، فَدَعَا مَوْلًى لَهُ يُقَالُ لَهُ «مَعْقِلٌ» فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَقَالَ لَهُ:

- خُذْ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ وَاسْأَلْ عَنِ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» وَأَعْطِهَا لَهُ، وَقُلْ لَهُ: اسْتَعِنْ بِهَا عَلَى عَدُوِّكَ، وَأَظْهِرْ لَهُ الْإِخْلَاصَ وَائْتِنِي بِخَبَرِهِ.

فَأَخَذَ «مَعْقِلٌ» الدَّرَاهِمَ وَجَعَلَ يَدُورُ فِي الْكُوفَةِ حَتَّى أَرْشَدُوهُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَنْصَارِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَأَتَاهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَانْتَظَرَهُ حَتَّى إِذَا مَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَامَ إِلَيْهِ وَاعْتَنَقَهُ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْإِخْلَاصَ، وَقَالَ لَهُ:

- يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ... اعْلَمْ أَنِّي رَجُلٌ شَامِيٌّ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ بِحُبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ وَمَعِي ثَلَاثَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَلْقَى الرَّجُلَ الَّذِي يُبَايِعُ النَّاسَ لِابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ، وَقَدْ أَتَيْتُكَ لِتَقْبَلَ مِنِّي الدَّرَاهِمَ وَتُدْخِلَنِي عَلَى صَاحِبِكَ فَإِنِّي ثِقَةٌ مِنْ ثِقَاتِهِ، وَعِنْدِي كِتْمَانُ أَمْرِهِ.

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ:

- يَا أَخَا الْعَرَبِ اعْزُبْ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ... مَا لَنَا وَلِأَهْلِ الْبَيْتِ، وَمَا أَصَابَ الَّذِي أَرْشَدَكَ إِلَيَّ.

فَقَالَ «مَعْقِلٌ»:

- إِذَا كُنْتَ لَمْ تَطْمَئِنَّ إِلَيَّ فَخُذِ الْمَوَاثِيقَ وَالْعُهُودَ عَلَيَّ.

وَرَاحَ يَحْلِفُ بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ أَنَّهُ مِنْ أَنْصَارِ «الْحُسَيْنِ»، فَاطْمَأَنَّ الرَّجُلُ إِلَيْهِ وَأَدْخَلَهُ عَلَى «مُسْلِمٍ»، وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْبَيْعَةَ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْمَالَ لِيَشْتَرِيَ بِهِ سِلَاحًا.

وَجَعَلَ «مَعْقِلٌ» بَعْدَ ذَلِكَ يَتَرَدَّدُ عَلَى «مُسْلِمٍ» طِيلَةَ أَيَّامٍ يَأْخُذُ أَسْرَارَهُ، فَلَمَّا اسْتَقْصَى أَخْبَارَهُ، عَادَ إِلَى «ابْنِ زِيَادٍ» وَقَصَّ عَلَيْهِ الْأَنْبَاءَ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِأَسْرَارِ «مُسْلِمٍ» وَتَحَرُّكَاتِهِ، وَإِقَامَتِهِ فِي دَارِ «هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ».

عِنْدَئِذٍ اسْتَدْعَى «ابْنُ زِيَادٍ» «مُحَمَّدَ بْنَ الْأَشْعَثِ» وَ«أَسْمَاءَ بْنَ خَارِجَةَ» وَ«عُمَرَ بْنَ الْحَجَّاجِ» وَقَالَ لَهُمْ:

- انْطَلِقُوا إِلَى «هَانِئٍ» وَائْتُونِي بِهِ.

فَانْطَلَقُوا فَوَجَدُوهُ جَالِسًا عَلَى بَابِ دَارِهِ، فَقَالُوا لَهُ:

- يَا «هَانِئُ» إِنَّ الْأَمِيرَ يَدْعُوكَ.

فَنَهَضَ مَعَهُمْ حَتَّى دَنَا مِنَ القَصْرِ، فَأَحَسَّ انْقِبَاضًا، كَأَنَّمَا أَحَسَّ بِالْمُؤَامَرَةِ قَدْ أُحْكِمَتْ حَلْقَاتُهَا، فَقَالَ لِـ «أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ»:

- يَا أَخِي إِنِّي خَائِفٌ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ، وَنَفْسِي تُحَدِّثُنِي بِبَعْضِ الَّذِي أَجِدُهُ!

فَقَالَ لَهُ «أَسْمَاءُ»:

- وَاللهِ مَا نَخَافُ عَلَيْكَ مِنْهُ، وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللهِ بَرِيءٌ، فَلَا تَجْعَلْ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا.

وَسَارُوا حَتَّى دَخَلُوا عَلَى «ابْنِ زِيَادٍ»، فَلَمَّا رَأَى «هَانِئًا» أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ يُكْرِمْهُ، فَأَنْكَرَ «هَانِئٌ» ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْلَفْ هَذَا الْمَوْقِفَ مِنْ قَبْلُ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ «ابْنُ زِيَادٍ» السَّلَامَ! فَقَالَ «هَانِئٌ»:

- بِمَاذَا؟ أَصْلَحَكَ اللهُ.

فَقَالَ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- يَا «هَانِئُ» خَبَّأْتَ «مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ» عِنْدَكَ، وَتَجْمَعُ لَهُ الرِّجَالَ وَالسِّلَاحَ، وَظَنَنْتَ أَنَّ ذَلِكَ يَخْفَى عَلَيَّ!

فَأَجَابَ «هَانِئٌ»:

- مَا فَعَلْتُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا.

فَقَالَ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- إِنَّ الَّذِي جَاءَ بِالْخَبَرِ أَصْدَقُ مِنْكَ عِنْدِي. يَا «مَعْقِلُ» اخْرُجْ إِلَيْهِ وَكَذِّبْهُ.

فَخَرَجَ «مَعْقِلٌ» مِنَ الْغُرْفَةِ الْمُجَاوِرَةِ، وَقَالَ فِي سُخْرِيَةٍ لَاذِعَةٍ:

- مَرْحَبًا بِكَ يَا «هَانِئُ»، أَتَعْرِفُنِي؟

عِنْدَئِذٍ أُسْقِطَ فِي يَدِ «هَانِئ»، وَأَدْرَكَ أَنَّ السِّرَّ الَّذِي كَتَمَهُ قَدْ ذَاعَ وَعُرِفَ، فَلَمْ يَتَلَجْلَجْ؛ وَلَمْ يَرْهَبْ، وَقَالَ بِرَبَاطَةِ جَأْشٍ وَعِزَّةِ نَفْسٍ:

- نَعَمْ، أَعْرِفُكَ... فَاجِرًا كَاذِبًا.

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيْهِ «ابْنُ زِيَادٍ» وَقَالَ:

- إِذَنْ لَا تُفَارِقْنِي حَتَّى تَأْتِيَنِي بِـ «مُسْلِمٍ».

فَازْدَادَ إِصْرَارُ «هَانِئ» عَلَى مَوْقِفِهِ الْمُشَرِّفِ، وَأَجَابَ «ابْنَ زِيَادٍ»:

- وَاللهِ لَوْ كَانَ تَحْتَ قَدَمِي مَا رَفَعْتُهَا عَنْهُ.

فَاسْتَشَاطَ غَضَبُ «ابْنِ زِيَادٍ»، وَقَالَ لِشُرْطَتِهِ:

- أَدْنُوهُ مِنِّي.

فَأَدْنَوْهُ، فَضَرَبَهُ بِحَرْبَةٍ عَلَى وَجْهِهِ، فَشَجَّهُ فِي حَاجِبِهِ، وَكَسَرَ أَنْفَهُ، فَسَالَ دَمُهُ، وَأَرَادَ «هَانِئٌ» أَنْ يُدَافِعَ عَنِ نَفْسِهِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَسْتَلَّ سَيْفَ شُرْطِيٍّ بِقُرْبِهِ، فَلَمْ يُمَكِّنُوهُ، وَقَالَ لَهُ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- الْآنَ قَدْ أَحَلَّ اللهُ لِي دَمَكَ.

ثُمَّ أَمَرَ بِحَبْسِهِ فِي جَانِبٍ مِنَ الدَّارِ، وَحَضَرَ قَوْمُ «هَانِئ» مِنْ بَنِي مَذْحِجٍ

يَسْـــتَنْكِرُونَ وَيَصِيحُونَ، وَيُنْذِرُونَ بِالثَّوْرَةِ إِنْ لَـــمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ «هَانِئٌ» سَلِيمًا مُعَافًى.

فَأَمَرَ «ابْنُ زِيَادٍ» الْقَاضِيَ «شُرَيْحًا» أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَيُطَمْئِنَهُمْ، فَخَرَجَ وَقَالَ:

- إِنَّ صَاحِبَكُمْ جَالِسٌ مَعَ الْأَمِيرِ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ، وَهَذِهِ السَّاعَةَ يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ.

فَانْفَضُّوا مُطْمَئِنِّينَ.

***

ثُمَّ إِنَّ «ابْنَ زِيَادٍ» أَمَرَ بِـ «هَانِئ» فَقُتِلَ، ثُمَّ صُلِبَ عَلَى خَشَبَةٍ فِي حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْكُوفَةِ يُدْعَى «الْكُنَاسَةَ»!

وَلَمْ يَسْتَطِعْ «مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ» أَنْ يَدْفَعَ الْأَذَى عَنْ «هَانِئ» وَقَدْ تَخَاذَلَ النَّاسُ وَجَبُنُوا، وَقَدْ أَرْهَبَهُمْ بَطْشُ «ابْنِ زِيَادٍ».

***

رَحِمَ اللهُ «هَانِئَ بْنَ عُرْوَةَ» شَـــهِيدًا فِي سَـــبِيلِ الْوَفَاءِ لِلْحَقِّ، مُجَاهِدًا أَعْوَانَ الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ وَالْجَبَرُوتِ.

حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ

عُنْوَانُ الْوَفَاءِ

«... أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَمْ آتِكُمْ حَتَّى أَتَتْنِي كُتُبُكُمْ وَرُسُلُكُمْ أَنْ أَقْدِمْ عَلَيْنَا فَلَيْسَ لَنَا إِمَامٌ، لَعَلَّ اللهَ يَجْمَعُنَا بِكَ عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ، فَقَدْ جِئْتُكُمْ... فَإِنْ تُعْطُونِي مَا أَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنْ عُهُودِكُمْ وَمَوَاثِيقِكُمْ أَقْدِمْ مِصْرَكُمْ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا... أَوْ كُنْتُمْ لِقُدُومِي كَارِهِينَ، انْصَرَفْتُ عَنْكُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَقْبَلْتُ مِنْهُ...».

الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ

❊❊❊

أَنَا «حَـــبِيبٌ» وَأَبِي «مُظَـاهِـــرٌ»
فَـــارِسُ هَيْجَـاءَ وَحَـــرْبٍ تَسْعَرُ
أَنْـتُـــمْ أَوْفَـــرُ عُـــــدَّةً وَأَكْـــثَرُ
وَنَحْـــنُ أَوْفَـى مِنْكُـــمُ وَأَصْـبَرُ
وَنَحْـــنُ أَعْـــلَى حُجَّـــةً وَأَظْهَـرُ
حَقًّـــا وَأَبْـــقَى مِنْكُـــمُ وَأَطْهَـرُ

***

تَوْطِئَةٌ

إِنَّ الرَّغْبَةَ فِي الْكِتَابَةِ عَنْ «شُهَدَاءِ كَرْبَلَاءَ» لَمْ تَكُنْ عِنْدِي وَلِيدَةَ عَامِلٍ شَخْصِيٍّ أَوْ حَافِزٍ عَاطِفِيٍّ، بَلْ وَلِيدَةَ إِيمَانٍ بِإِسْلَامٍ مُصَفًّى، مِحْوَرُهُ الْحَقُّ وَالْعَدْلُ، وَأَسَاسُـــهُ الطَّاعَةُ لِلهِ سُـــبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَنَهْجٌ قَوِيمٌ عَلَى صِرَاطٍ مُسْـــتَقِيمٍ، لَا يَزِيغُ مَعَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا يَنْحَرِفُ مَعَ الشَّهَوَاتِ، فَلَا يُفَسَّرُ أَوْ يُؤَوَّلُ تَبَعًا لِضَلَالِ الْحُكَّامِ أَوِ اسْتِبْدَادِهِمْ وَتَسَلُّطِهِمْ.

أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ كُلِّهِ إِبْرَازَ الْعَنَاصِرِ وَالنَّمَـــاذِجِ الَّتِي قَضَتْ فَوْقَ أَرْضِ كَرْبَلَاءَ، وَقَدْ ضَرَبَتْ أَرْوَعَ الْأَمْثِلَةِ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالدِّفَاعِ عَنْ دِينِهِ وَشَرِيعَتِهِ، وَحِمَايَةِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِهِ، وَمَهَرَتْ بِالدَّمِ الْقَانِي مُثُلَهَا الْعُلْيَا.

وَلَقَدْ كَانَ «حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ» الشَّيْخُ الْهَرِمُ، بِأَعْوَامِهِ السَّبْعِينَ، وَشَيْبِهِ الْوَقُورِ، مَثَلًا شَامِخًا، وَعَلَمًا بَارِزًا، وَمِشْعَلًا وَهَّاجًا، مَا يَزَالُ ضِيَاؤُهُ الصَّافِي يُبَدِّدُ ظَلَامَ الظَّالِمِينَ، وَيَسْفَحُ سَوَادَ اسْتِبْدَادِهِمْ...

وَالْآنَ...

إِلَى أُمْثُولَةِ الْكِفَاحِ، وَالْوَفَاءِ وَالثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ.

إِلَى حَيَاةِ «حَبِيبِ بْنِ مُظَاهِرٍ»:

نَسَبُهُ وَإِسْلَامُهُ

هُوَ «حَبِيبُ بْنُ مُطَهِّرٍ ـ وَيُقَالُ مُظْهِرٍ أَوْ مُظَاهِرٍ ـ بْنِ رِئَابِ بْنِ الْأَشْتَرِ ابْنِ حَجْوَانَ الْأَسَدِيُّ الْكِنْدِيُّ».

يُعَدُّ فِي طَبَقَةِ التَّابِعِينَ، تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ فَلَمْ يُشَاهِدْ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَلَكِنَّهُ كَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ، قَوِيَّ الْإِيمَانِ، شَدِيدَ التَّمَسُّكِ بِالْحَقِّ، وَصَاحِبَ سَيْفٍ وَبَيَانٍ، يَنْتَهِي نَسَبُهُ إِلَى إِحْدَى الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي اشْتُهِرَتْ بِالْبَأْسِ وَالشَّجَاعَةِ.

❊❊❊

مَوَاقِفُهُ

كَانَ مُعْجَبًا بِشَـــخْصِيَّةِ الْإِمَامِ «عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كَثِيرَ اللُّصُوقِ بِهِ، شَـــدِيدَ الْمَحَبَّةِ لَهُ، يَنْهَلُ مِنْ نَمِيرِ حِكْمَتِهِ، وَمِنْ فَيْضِ عِلْمِهِ، وَمِنْ غَزِيرِ فَضْلِهِ، يَتَأَسَّاهُ فِي الْمَعَامِعِ وَمَيَادِينِ الْبُطُولَةِ.

بَايَعَهُ عَلَى الْخِلَافَةِ، وَشَايَعَهُ عَلَى الْحَقِّ، وَتَابَعَهُ عَلَى الْهُدَى، يَذُبُّ عَنْهُ بِلِسَانِهِ وَسَيْفِهِ، وَيَفْتَدِيهِ بِمَالِهِ وَبَدَنِهِ وَرُوحِهِ.

خَرَجَ مَعَ «عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ (الْجَمَلِ) فَكَانَ مُقَدَّمًا عَلَى الْفُرْسَانِ، وَبَطَلًا مِغْوَارًا فِي الْمَيْدَانِ، يُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِ الْإِمَامِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ أَمَامِهِ، وَلَمْ يُرَ أَبَدًا خَلْفَهُ، حَتَّى انْجَلَى غُبَـــارُ الْمَعْرَكَةِ، وَوُضِعَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ، وَعَادَ السَّيْفُ إِلَى قِرَابِهِ.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ (صِفِّينَ) خَاضَ غِمَارَ مَعَارِكِهَا وَاحِدَةً بَعْدَ الْأُخْرَى، لَا يَثْنِيهِ عَنِ النَّصْرِ شَـــيْءٌ، وَلَا يَرْهَبُ مِنَ الْمَوْتِ أَبَدًا، فَتَارَةً يُقَاتِلُ بِالسَّيْفِ وَأُخْرَى بِالرُّمْحِ، وَثَالِثَةً بِكُلِّ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَدُهُ مِنْ سِلَاحٍ، تَفِرُّ الْفُرْسَانُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَهُوَ مُقْبِلٌ عَلَيْهَا كَالْأَسَدِ الْهَصُورِ، أَوْ كَالنَّسْرِ الْمُنْقَضِّ عَلَى فَرِيسَتِهِ!

تِلْكَ الشَّـــجَاعَةُ وَذَلِكَ الْعَزْمُ وَهَذَا الْإِقْدَامُ حُدِّثْنَـــا عَنْهُ حَدِيثَ حَقٍّ وَرِوَايَةَ صِدْقٍ لَا مُوَارَبَةَ فِيهَا وَلَا نِفَاقَ، امْتَلَأَتْ بِهَا بُطُونُ الْكُتُبِ وَأُمَّهَاتُ

السِّـــيَرِ، وَقَدْ شَـــهِدَتْ لِلْفَارِسِ الْمِقْدَامِ «حَبِيبِ بْنِ الْمُطَهِّرِ» بِالْبُطُولَةِ النَّادِرَةِ، وَالْفُرُوسِيَّةِ الْفَائِقَةِ.

وَكَانَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ مَعْرَكَةِ (صِفِّينَ) وَمَا آلَتْ إِلَيْهِ، وَعَادَ الْإِمَامُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَعَادَ مَعَهُ أَحِبَّاؤُهُ وَأَشْـيَاعُهُ، وَعَادَ «حَبِيبٌ» لِيَبْقَى فِي جِوَارِ مَنْ أَحَبَّ وَأَخْلَصَ.

وَأَقَامَ فِي الْكُوفَةِ حَتَّى كَانَ يَوْمُ اسْتِشْـهَادِ الْإِمَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى يَدِ «ابْنِ مُلْجَمٍ»، ثُمَّ غَادَرَهَا مُلْتَحِقًا بِالْإِمَامِ «الْحَسَنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُبَايِعًا وَمُؤَيِّدًا وَمُنَاصِرًا.

وَمَكَثَ «حَبِيبٌ» عَلَى وَلَائِهِ لِـ«الْحَسَـنِ»، حَتَّى نَفَضَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدَهُ مِنْ أَمْرِهَا كَارِهًا لِلدَّمِ، دَاعِيًا إِلَى السَّلَامِ وَالْوِئَامِ.

وَلَمَّا قَضَى «الْحَسَـنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شَـهِيدًا، بَعْدَ أَنْ دُسَّ لَهُ السُّـمُّ فِي الطَّعَـامِ، وَقَفَ «حَبِيـبٌ» إِلَى جَنْبِ الْإِمَامِ «الْحُسَـيْنِ»، لَا يُحَرِّضُهُ وَلَا يُشَـنِّجُهُ، وَلَكِنْ يَنْتَظِرُ اتِّخَاذَ مَوْقِفٍ يَرْتَئِيـهِ الْإِمَامُ لِيَكُونَ فِي طَلِيعَةِ الْمُؤَيِّدِينَ وَالْمُدَافِعِينَ، بَلِ الْعَامِلِينَ الْبَاذِلِينَ.

فَلَمَّا غَادَرَ الْإِمَامُ «الْحُسَيْنُ» الْمَدِينَةَ إِلَى مَكَّةَ، كَانَ «حَبِيبٌ» فِي مُقَدِّمَةِ الرَّكْبِ، رَائِدَ طَرِيقٍ، وَقَائِدَ سَبِيلٍ. وَحِينَ آوَاهُمْ بَيْتُ اللهِ الْحَرَامُ وَبَدَأَتْ وُفُودُ أَهْلِ الْعِرَاقِ تَتْرَى وَتَتَتَابَعُ، حَامِلَةً إِلَى الْإِمَامِ «الْحُسَيْنِ» تَأْيِيدَ النَّاسِ وَتَرْحِيبَهُمْ بِمَقْدِمِهِ إِلَيْهِمْ وَإِقَامَتِهِ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، أَرْسَلَ ابْنَ عَمِّهِ «مُسْلِمَ

ابْنَ عَقِيلٍ» طَلِيعَةً وَرَائِدًا؛ لِيَسْتَوْثِقَ لَهُ مِنَ النَّاسِ وَيَسْتَطْلِعَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ، وَلَبِثَ «حَبِيبٌ» مَعَ الْإِمَامِ «الْحُسَيْنِ» فِي مَكَّةَ أَشْهُرًا، لَا يُفَارِقُهُ وَلَا يَبْتَعِدُ عَنْهُ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْعُمْرِ نَيِّفًا وَسَبْعِينَ عَامًا، وَكُنْتَ لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ قَائِمًا أَوْ رَاكِعًا، غَايَتُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَطِلْبَتُهُ نُصْرَةُ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَالدِّفَاعُ عَنِ عِتْرَةِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَافْتِدَاؤُهُمْ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، لَا يَأْلُو فِي ذَلِكَ جُهْدًا.

ثُمَّ جَاءَ كِتَابُ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» يُخْبِرُ الْإِمَامَ «الْحُسَيْنَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِمُبَايَعَةِ الْأُلُوفِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَهُ، فَحَزَمَ أَمْرَهُ وَهَيَّأَ نَفْسَهُ لِلْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْكُوفَةِ، وَجَاءَهُ بَعْضُ النَّاسِ يَنْصَحُونَهُ بِعَدَمِ الِاسْتِجَابَةِ إِلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ الَّذِينَ غَدَرُوا بِأَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ هَؤُلَاءِ أَحَدُ أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْفَهْمِ وَالْعِلْمِ وَالْمَشُورَةِ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، إِلَّا أَنَّ الْإِمَامَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمْ يُصِخْ بِسَمْعِهِ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَكَانَ دَاعِي الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى وَالدِّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ يَضِجُّ فِي ذَاتِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَلَا عَجَبَ فَإِنَّ صَوْتَ الْحَقِّ أَعْلَى وَنِدَاءَ الْوَاجِبِ أَسْمَى، وَصَيْحَةَ الْقُرْآنِ أَقْوَى.

وَخَرَجَ «حَبِيبٌ» مَعَ حَبِيبِهِ، لَمْ تُثْقِلْ كَاهِلَهُ السُّنُونَ، وَلَمْ تَفُلَّ عَزِيمَةَ النِّضَالِ عِنْدَهُ الشَّيْخُوخَةُ، فَتَرَاهُ فِي مُقَدِّمَةِ الصُّفُوفِ عَلَى صَهْوَةِ جَوَادِهِ، وَكَأَنَّهُ فَارِسُ حَرْبٍ فِي رَيْعَانِ الشَّبَابِ، مُسْتَقِيمَ الْقَامَةِ حَادَّ النَّظَرَاتِ، حَدِيدَ النَّبَرَاتِ.

وَعَرَّجُــوا بِرَكْبِهِمْ عَلَى الْمَدِينَةِ؛ لِيَتَزَوَّدُوا مِنْ سَــاكِنِهَا (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) بِأَطْيَبِ الدَّعَوَاتِ وَأَصْدَقِ التَّمَنِّيَاتِ، فَأَقَامُوا فِي الْجِوَارِ أَيَّامًا، كَانَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خِلَالَهَا يُوَدِّعُ جَدَّهُ الْعَظِيمَ الْوَدَاعَ الْأَخِيرَ، بَلْ كَانَ فِي الْوَاقِعِ يُهَيِّئُ نَفْسَهُ لِلِّقَاءِ بِهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

ثُمَّ انْطَلَقُوا بِاتِّجَاهِ الْكُوفَةِ فِي الْعِرَاقِ يَجْتَازُونَ الْفَيَافِيَ وَيَقْطَعُونَ الْقِفَارَ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ بَلَغَهُمْ حَتَّى ذَلِكَ الْحِينِ شَيْءٌ مِمَّا حَلَّ بِـ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» مِنِ انْصِرَافِ النَّاسِ عَنْهُ وَمَقْتَلِهِ.

كَانُوا يَسِــيرُونَ حَافِزُهُمْ أَمَلُ التَّأْيِيدِ الَّذِي تَتَابَعَــتْ أَنْبَاؤُهُ وَأَخْبَارُهُ، وَتَوَالَتْ فِيهِ الرَّسَائِلُ وَالْكُتُبُ.

كَمَا لَمْ يَبْلُغْهُــمْ أَيْضًا تَوَلِّي «ابْنِ زِيَادٍ» إِمَــارَةَ الْكُوفَةِ وَتَجْهِيزُ جَيْشٍ لِمُلَاقَاةِ «الْحُسَيْنِ» وَصَدِّهِ عَنْ مُتَابَعَةِ السَّيْرِ.

فَلَمَّا بَلَغُوا مَكَانًا يُدْعَى «سَرَفَ»، كَبَّرَ أَحَدُ رِجَالِ «الْحُسَيْنِ»، فَسَأَلَهُ:

- مِمَّ كَبَّرْتَ؟

فَقَالَ :

- رَأَيْتُ النَّخِيلَةَ.

فَقَالَ لِـ«الْحُسَيْنِ» بَعْضُ رِجَالِهِ:

- إِنَّ هَذَا الْمَكَانَ لَمْ يَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ نَخِيلَةً.

فَقَالَ «الْحُسَيْنُ»:

- فَمَاذَا تَرَيَانِهِ رَأَى إِذَنْ؟

فَقَالَا:

- إِنَّهَا خَيْلٌ مُقْبِلَةٌ!

فَأَدْرَكَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ فِي الْأَمْرِ شَرًّا مُسْتَطِيرًا.

وَكَانَ فِي أَثْنَاءِ سَيْرِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ إِلَى الْكُوفَةِ لَا يَمُرُّ بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ إِلَّا اتَّبَعُوهُ وَسَارُوا مَعَهُ، حَتَّى كَثُرَ عَدَدُ أَفْرَادِ جَيْشِهِ.

فِي ذَلِكَ الْحِينِ عَرَفَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَحَدِ رِجَالِ بَنِي أَسَدٍ مَا حَلَّ بِـ«مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» فِي الْكُوفَةِ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ النَّاسِ فِيهَا، فَقَالَ:

- إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

ثُمَّ قَالَ:

- لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» وَ«هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ».

كَمَا قَالَ أَبْنَاءُ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ»:

- وَاللهِ لَا نَرْجِعُ حَتَّى نُدْرِكَ ثَأْرَنَا!

وَبِهَذَا زَادَ تَصْمِيمُ الْإِمَامِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى مُتَابَعَةِ الْمَسِيرَةِ الْعَظِيمَةِ مَهْمَا تَكُنِ النَّتَائِجُ.

وَلَكِنَّهُ أَحَبَّ أَنْ لَا يَخْدَعَ النَّاسَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ؛ إِذْ لَمْ تَكُنِ الْمُخَادَعَةُ مِنْ طَبْعِهِ، وَهُوَ الَّذِي رُبِّيَ عَلَى الصَّرَاحَةِ وَالصِّدْقِ وَالِاسْتِقَامَةِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ:

ـ مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمُ الِانْصِرَافَ فَلْيَنْصَرِفْ مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنَّا ذِمَامٌ.

فَتَفَرَّقَ أَكْثَرُ النَّاسِ عَنْهُ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُ إِلَّا الَّذِينَ خَرَجُوا بِصُحْبَتِهِ مِنْ مَكَّةَ.

وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ إِنَّمَا اتَّبَعُوهُ لِأَنَّهُ يَأْتِي بَلَدًا قَدِ اسْتَقَامَتْ لَهُ طَاعَةُ أَهْلِهِ، فَكَرِهَ أَنْ يَسِيرُوا مَعَهُ إِلَّا وَهُمْ يَعْلَمُونَ عَلَى أَيِّ أَمْرٍ يَقْدَمُونَ، وَقَدْ أَدْرَكَ أَنَّهُ إِذَا بَيَّنَ لَهُمُ الْأَمْرَ لَمْ يَصْحَبْهُ سَاعَتَئِذٍ إِلَّا مَنْ يُرِيدُ مُوَاسَاتَهُ فِي الْمَوْتِ مَعَهُ.

تُرَى ـ وَنَحْنُ نُتَرْجِمُ لِـ«حَبِيبِ بْنِ مُطَهِّرٍ» ـ أَيَّ مَوْقِفٍ يَتَّخِذُ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الَّذِي طُبِعَ عَلَى الْوَفَاءِ وَآمَنَ بِالْحَقِّ وَاسْتَقَامَ عَلَى الصِّرَاطِ؟

هَلْ يَعُودُ وَيَنْجُو بِنَفْسِهِ وَقَدْ رَأَى أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ كَشَّرَ عَنْ أَنْيَابِهِ وَفَغَرَ فَمَهُ؟!

هَلْ يَجْبُنُ وَيَنْكَفِئُ؟!

هَلْ يَتَقَاعَسُ عَنْ نُصْرَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَفْنَى زَهْرَةَ الْعُمْرِ وَرَيْعَانَ الشَّبَابِ فِي الدِّفَاعِ عَنْ قَضِيَّتِهِمْ؟!

هَلْ يُفَكِّرُ بِشَيْخُوخَتِهِ وَبِالْأَيَّامِ ـ لَا بِالسِّنِينَ ـ الْمُتَبَقِّيَةِ لَهُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ؟!

أَيُّ شَرَفٍ أَعْظَمُ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَاحَةِ الْوَغَى دِفَاعًا عَنْ مَبْدَإٍ، وَفَنَاءً فِي عَقِيدَةٍ، وَذَوَبَانًا فِي هَدَفٍ كَرِيمٍ؟!

إِذَنْ لَا بُدَّ مِنَ الدِّفَاعِ عَنِ «الْحُسَيْنِ»، وَلَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ فِي سَاحَةِ النِّضَالِ، وَهَذَا مَا صَمَّمَ عَلَيْهِ «حَبِيبٌ»، وَانْحَازَ إِلَى صَفِّ الْفِئَةِ الْمُؤْمِنَةِ.

عِنْدَمَا تَيَقَّنَ «الْحُسَيْنُ» مِنْ أَنَّ جَيْشَ «ابْنِ زِيَادٍ» سَيَكُونُ فِي مُوَاجَهَتِهِمْ قَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ:

- أَمَا لَنَا مَلْجَأٌ نَجْعَلُهُ فِي ظُهُورِنَا وَنَسْتَقْبِلُ الْقَوْمَ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ؟

قَالُوا:

- بَلَى ... «ذُو حَسَمٍ».

فَاتَّجَهَ «الْحُسَيْنُ» بِمَنْ مَعَهُ إِلَيْهَا، وَأَمَرَ بِأَبْنِيَتِهِ، فَضُرِبَتْ.

وَدَنَا الْجَيْشُ مِنْهُمْ، فَإِذَا هُمْ أَلْفُ فَارِسٍ يَتَقَدَّمُهُمُ «الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ» طَلِيعَةً لِجَيْشِ «ابْنِ زِيَادٍ».

وَجَرَى بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حِوَارٌ ظَهَرَ مِنْ خِلَالِهِ مَضَاءُ عَزْمِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ مِمَّا قَالَهُ «الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ التَّمِيمِيُّ» لَهُ:

- يَا «حُسَيْنُ» إِنِّي أُذَكِّرُكَ اللهَ فِي نَفْسِكَ، فَإِنِّي أَشْهَدُ لَئِنْ قَاتَلْتَ لَتُقْتَلَنَّ، وَلَئِنْ قُوتِلْتَ لَتَهْلِكَنَّ فِيمَا أَرَى.

فَصَرَخَ فِيهِ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- أَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي؟!

سَأَمْضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى

إِذَا مَا نَوَى حَقًّا وَجَاهَدَ مُسْلِمَا

فَإِنْ مِتُّ لَـمْ أَنْدَمْ، وَإِنْ عِشْـتُ لَمْ أُلَمْ

كَفَى بِـكَ مَـوْتًا أَنْ تَذِلَّ وَتُرْغَـمَا

فَلَمَّا سَـمِعَ «الْحُرُّ» مِنْهُ ذَلِكَ تَنَحَّى عَنْهُ، وَجَعَلَ يَسِيرُ بِأَصْحَابِهِ نَاحِيَةً عَنْهُ، وَلَكِنْه لَمْ يَتْرُكْهُ يَغِيبُ عَنْ نَاظِرَيْهِ.

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي كَانَ جَيْشُ «ابْنِ زِيَادٍ» يُغِذُّ السَّـيْرَ بِاتِّجَاهِ طَلِيعَتِهِ الَّتِي يَقُودُهَا «الْحُرُّ»، وَعَلَى رَأْسِهِ «عُمَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ»، وَكَانَ قِوَامُ جَيْشِهِ أَرْبَعَةَ آلَافٍ مِنْ جُنُودِ الشَّامِ.

ثُمَّ تَبِعَهُ «الشِّـمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَـنِ» مُؤَيِّدًا عَلَى الشَّرِّ، وَمُسَاعِدًا عَلَى الْجَرِيمَـةِ النَّكْرَاءِ، مُوفَدًا مِنْ قِبَلِ «ابْنِ زِيَادٍ» يُحَرِّضُ «عُمَرَ بْنَ سَـعْدٍ» عَلَى اسْتِعْجَالِ قِتَالِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخَمِيسِ عَشِيَّةَ التَّاسِعِ مِنْ شَهْرِ مُحَرَّمٍ الْحَرَامِ.

وَلَقَدْ أَرَادَ «الشِّـمِرُ» أَنْ يَحْتَالَ حِيلَةً يَصْرِفُ بِهَا أَصْحَابَ «الْحُسَيْنِ» عَنْ نُصْرَتِهِ رَغْمَ قِلَّـةِ عَدَدِهِمْ، فَقَدْ كَانُوا لَا يَزِيدُونَ عَنْ سَـبْعِينَ نَفَرًا، لِيَسْـهُلَ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ عَلَى «الْحُسَـيْنِ» وَالتَّخَلُّصُ مِنْهُ بِأَهْوَنِ الْأَسْبَابِ.

فَقَالَ لِبَعْضِهِمْ:

- أَنْتُمْ آمِنُونَ.

فَأَجَابُوا:

- إِنْ أَمَّنْتَنَا وَابْنَ رَسُــولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) فَنَعَمْ، وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِأَمَانِكَ.

فَرَفَضَ «الشِّمِرُ»، وَنَادَى «عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ» نِدَاءَ الْحَرْبِ، فَرَكِبَ النَّاسُ وَزَحَفُوا بِاتِّجَاهِ «الْحُسَــيْنِ» وَأَصْحَابِــهِ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَ«الْحُسَيْنُ» جَالِسٌ أَمَامَ خَيْمَتِهِ مُحْتَبِيًا بِسَيْفِهِ، فَلَمَّا دَنَوْا أَرْسَلَ لَهُمْ أَخَاهُ «الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ» يَسْتَمْهِلُهُمْ إِلَى الْغَدِ؛ لَعَلَّهُمْ يُرَاجِعُونَ أَنْفُسَهُمْ فِيمَا هُمْ مُقْدِمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرٍ خَطِيرٍ وَشَرٍّ كَبِيرٍ.

فَتَشَاوَرُوا ثُمَّ اسْتَجَابُوا.

وَقَضَى «الْحُسَــيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَيْلَتَــهُ فِي الصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، وَكَذَلِكَ أَصْحَابُهُ.

وَكَرَّرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نِدَاءَهُ لِأَصْحَابِهِ الْبَاقِينَ:

- مَــنْ أَرَادَ مِنْكُمُ الِانْصِرَافَ إِلَى أَهْلِهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَهُ، فَالْقَوْمُ إِنَّمَا يُرِيدُونَنِي.

فَقَالُوا جَمِيعًا:

- لَا بَقَاءَ لَنَا بَعْدَكَ، وَلَا أَرَانَا اللهُ فِيكَ مَا نَكْرَهُ.

وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُرَدِّدُ:

يَــا دَهْــرُ أُفٍّ لَكَ مِــنْ خَــلِيلِ

كَــمْ لَكَ بِالْإِشْــرَاقِ وَالْأَصِــيلِ

مِـــنْ صَـــاحِبٍ أَوْ طَـــالِبٍ قَتِيـــلِ
وَالدَّهْـــرُ لَا يَقْنَـــعُ بِالْبَـــدِيـــلِ
وَإِنَّمَـــا الْأَمْـــرُ إِلَى الْجَـــلِيلِ
وَكُـــلُّ حَيٍّ سَـــالِكُ السَّـــبِيلِ

وَكَانَ يَقْرَأُ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ ﴾.

فَلَمَّا كَانَ صَبَاحُ يَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ صَلَّى «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِأَصْحَابِهِ وَهُمُ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا وَأَرْبَعُونَ رَاجِلًا ثُمَّ صَفَّهُمْ لِلْحَرْبِ، عَلَى مَيْمَنَتِهِ «زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ»، وَعَلَى مَيْسَـــرَتِهِ الشَّـــيْخُ الْبَطَلُ، وَالْفَارِسُ الشُّجَاعُ عُنْوَانُ الْهِمَّةِ وَالْوَفَاءِ «حَبِيبُ بْنُ مُظَهِّرٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثُمَّ رَكِبَ الْحُسَـــيْنُ عَلَى فَرَسِـــهِ، وَأَخَذَ مُصْحَفًا فَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ رَافِعًا يَدَيْهِ قَائِلًا:

- اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ.

وَتَحَدَّثَ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا مُذَكِّرًا إِيَّاهُمْ - إِنْ كَانُوا قَدْ نَسُـــوا - بِنَسَبِهِ وَفَضْلِهِ، وَهُوَ يُرَدِّدُ:

- أَمَا تَتَّقُونَ اللهَ؟!

وَلَكِنْ أَيْنَ أَسْمَاعُ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ؟ وَأَيْنَ عُقُولُ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ؟ وَأَيْنَ لُبَابُ الْقَوْمِ الطَّاغِينَ؟

فَانْحَازَ إِلَى صَفِّهِ بَعْضُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانُوا فِي جَيْشِ «ابْنِ زِيَادٍ» وَعَلَى رَأْسِهِمُ «الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ» مُعْتَذِرًا وَتَائِبًا، فَتَقَبَّلَ مِنْهُ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ثُمَّ بَرَزَ الْفُرْسَانُ إِلَى الْمَيْدَانِ.

وَكَانَ أَصْحَابُ «الْحُسَيْنِ» مِنَ الشُّجْعَانِ، فَتَصَاوَلُوا وَتَبَارَزُوا، وَبَدَأَتْ بَوَادِرُ الْهَزِيمَةِ تَلْحَقُ بِفُرْسَانِ «ابْنِ زِيَادٍ»؛ إِذْ كَانَ وَاحِدُهُمْ يُقْتَلُ بَعْدَ الْآخَرِ، فَمَا نَزَلَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَى الْمُبَارَزَةِ إِلَّا لَقِيَ الْمَوْتَ الزُّؤَامَ.

فَأَدْرَكَ «عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ» أَنَّ طَرِيقَةَ الْقِتَالِ بِالْمُبَارَزَةِ الْفَرْدِيَّةِ لَا تُعْطِي نَتِيجَةً، وَأَنَّ اسْتِمْرَارَهَا يُؤْذِي مَعْنَوِيَّاتِ أَصْحَابِهِ وَجُنْدِهِ؛ فَقَدِ اسْتَعَرَ فِيهِمُ الْقَتْلُ، وَزُهِقَتْ أَرْوَاحُ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ، فَأَشَارَ بِالْهُجُومِ وَالِالْتِحَامِ.

فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ «الْحُسَيْنِ» «مُسْلِمُ بْنُ عَوْسَجَةَ»، فَأَسْرَعَ إِلَيْهِ «حَبِيبُ بْنُ مُظَهِّرٍ» وَهُوَ عَلَى آخِرِ رَمَقٍ، وَقَالَ لَهُ:

- أَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ...

فَقَالَ «مُسْلِمٌ»:

- بَشَّرَكَ اللهُ بِالْخَيْرِ.

فَقَالَ «حَبِيبٌ»:

ـ لَوْلَا أَنِّي عَلَى أَثَرِكَ لَاحِقُكَ لَكُنْتُ أَقْضِي مَا تُوصِي بِهِ.

فَقَالَ «مُسْلِمٌ»:

ـ أُوصِيكَ بِهَذَا ـ وَأَشَارَ إِلَى «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ.

وَكَأَنِّي بِـ «حَبِيبٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ دَمِعَتْ عَيْنَاهُ أَسًى وَحُزْنًا، وَكَأَنِّي بِهِ يُرَدِّدُ:

ـ أَتُوصِينِي بِمَنْ نَذَرْتُ الْعُمْرَ فِي تَأْيِيدِهِ وَالثَّبَاتِ عَلَيْهِ؟!

أَتُوصِينِي بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَهُمَا دَيْدَنِي وَمَبْدَئِي؟!

أَتُوصِينِي بِالْحَبِيبِ ابْنِ الْحَبِيبِ «الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؟!

ثُمَّ عَادَ إِلَى الْقِتَالِ وَالنِّضَالِ، فَلَمَّا كَانَ الظُّهْرُ، قَالَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ـ مُرُوهُمْ فَلْيَكُفُّوا عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى نُصَلِّيَ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ:

ـ إِنَّهَا لَا تُقْبَلُ مِنْكُمْ!

فَانْتَفَضَ «حَبِيبُ بْنُ مُظَهِّرٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَائِلًا بِصَوْتٍ مُدَوٍّ:

ـ وَيْحَكَ... أَتُقْبَلُ مِنْكُمْ وَلَا تُقْبَلُ مِنْ آلِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)؟!

فَلَمَّا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ عَادُوا إِلَى حَوْمَةِ الْوَغَى، وَقَاتَلَ «حَبِيبٌ» قِتَالًا شَدِيدًا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، رَغْمَ ثِقَلِ أَعْوَامِهِ السَّبْعِينَ، حَتَّى قَتَلَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ

«بُدَيْلُ بْنُ صُرَيْمٍ» مِنْ بَنِي عَقْفَانَ، فَأَخَذَ يَرْتَجِزُ وَيُرَدِّدُ:

أَنَـــا «حَـــبِيبٌ» وَأَبِي «مُظَـاهِـرُ»

فَـــارِسُ هَيْجَـاءَ وَحَـــرْبٍ تَسْعَرُ

أَنْتُـمْ أَوْفَـــرُ عُـــدَّةً وَأَكْـثَـــرُ

وَنَحْـــنُ أَوْفَى مِنْكُـــمُ وَأَصْـبَرُ

وَنَحْـــنُ أَعْـــلَى حُجَّـــةً وَأَظْهَرُ

حَقًّـا وَأَبْقَـــى مِنْكُـــمُ وَأَطْهَـرُ

***

وَبَيْنَمَا كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَصُولُ وَيَجُولُ وَيُجَنْدِلُ الْفُرْسَانَ، وَيَتَصَدَّى لِلرِّمَاحِ وَالسُّـيُوفِ؛ حِمَايَةً لِـ«الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، غَافَلَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِـي تَمِيمٍ فَطَعَنَهُ، فَوَقَعَ عَنْ جَوَادِهِ، وَلَكِـنَّ الضَّرْبَةَ لَمْ تَكُنْ قَاتِلَةً، فَلَمَّا حَاوَلَ الْقِيَامَ، ضَرَبَهُ «الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ» عَلَى رَأْسِـهِ بِالسَّيْفِ فَوَقَعَ، ثُمَّ احْتَزُّوا رَأْسَهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى «ابْنِ زِيَادٍ»!

وَطُوِيَتْ صَفْحَةٌ مِـنْ صَفَحَاتِ الشَّـرَفِ وَالْبُطُولَـةِ وَالْوَفَاءِ، وَنَامَ «حَبِيبٌ» قَرِيرَ الْعَيْنِ مُطْمَئِنَّ الْبَالِ؛ فَقَدْ أَدَّى رِسَـالَتَهُ فِي الْجِهَادِ وَقِسْطَهُ إِلَى الْعُلَى.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوَاهُ، كِفَاءَ مَا جَاهَدَ فِي سَـبِيلِ الْحَقِّ، وَنَاضَلَ فِي سَبِيلِ الْعَدْلِ، وَاسْتُشْهِدَ دِفَاعًا عَنِ آلِ الْبَيْتِ.

قَيْسُ بْنُ مُسْهِرٍ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ ﴾.

***

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتَّ خِصَالٍ:

١ـ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ يُكَفَّرُ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ.

٢ـ وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ.

٣ـ وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ.

٤ـ وَيُؤَمَّنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ.

٥ـ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.

٦ـ وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ.»

❊❊❊

تَوْطِئَةٌ

إِنَّ مَنْ يَقْـرَأُ بِإِمْعَانٍ وَتَدَبُّرٍ مَأْسَـاةَ كَرْبَلَاءَ، ثُمَّ يُحِيلُهَـا عَلَى مَنَاحِي حِسِّـهِ وَشُعُورِهِ وَفِكْرِهِ، يُدْرِكُ عَظَمَةَ الدَّوْرِ الَّذِي أَدَّاهُ كُلُّ شَهِيدٍ، وَسُمُوَّ الْمَوْقِفِ الَّذِي وَقَفَهُ فِي وَجْهِ الظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ، وَالتَّحَدِّيَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَمْ يَرَ التَّارِيخُ عَلَى مَدَاهُ السَّحِيقِ مَثِيلًا أَوْ نَظِيرًا لَهُ.

وَلَقَدْ كَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ الْكَلِمَاتِ الَّتِي صَدَرَتْ عَنْهُمْ شِهَابًا مُضِيئًا وَسِـرَاجًا مُنِيرًا، وَكُلُّ قَطْرَةٍ مِنْ دِمَائِهِمُ الَّتِي أُرِيقَتْ دَفْقَةَ هِدَايَةٍ، وَأُمْثُولَةَ تَضْحِيَةٍ، وَدَرْسًا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْلُدَ فِي فَمِ الزَّمَنِ.

إِنَّ «شُـــهَدَاءَ كَرْبَلَاءَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا طُلَّابَ دُنْيَا، أَوْ سُـــعَاةَ جَاهٍ وَسُلْطَانٍ، أَوْ نَاشِدِي مَالٍ وَمَتَاعٍ، وَلَوْ أَرَادُوا ذَلِكَ لَأَتَاهُمْ كُلُّهُ طَائِعًا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا دُعَاةَ حَقٍّ، وَرَائِدِي شَهَادَةٍ، وَمُحِبِّي آخِرَةٍ.

قَدْ يَطُولُ دَوْرُ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ عَلَى مَسْرَحِ الْمَأْسَاةِ، وَقَدْ يَقْصُرُ، وَلَكِنَّهُمْ فِي النِّهَايَةِ يَسْتَوُونَ مِنْ حَيْثُ الْعَطَاءُ وَمِنْ حَيْثُ الْقِيمَةُ وَالْمَرْدُودُ.

❊❊❊

وَبَطَلُنَا الْيَوْمَ «قَيْسُ بْنُ مُسْهِرٍ» صَاحِبُ دَوْرٍ قَصِيرٍ، قَصِيرٍ جِدًّا، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ وَالتَّقْيِيمِ مِـــنْ أَكْبَرِ الْأَدْوَارِ وَأَعْظَمِهَا؛ فَقَدْ كَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ ـ أَمِينًا بِكُلِّ مَا تَحْمِلُ كَلِمَةُ الْأَمَانَةِ مِنْ مَعْنًى، أَمِينًا عَلَى الْعَهْدِ، أَمِينًا عَلَى الْوَاجِبِ، أَمِينًا عَلَى التَّبْلِيغِ، أَمِينًا عَلَى الْحَقِّ، أَمِينًا عَلَى الْإِسْـــلَامِ أَنْ تَعْبَثَ بِهِ يَدَا «عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ».

وَكَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَفِيًّا بِكُلِّ مَا فِي كَلِمَةِ الْوَفَاءِ مِنْ إِشْرَاقٍ وَبَهَاءٍ، وَفِيًّا عَلَى الرِّسَـــالَةِ الَّتِي حُمِّلَهَا، وَفِيًّا عَلَى الْبَيْعَةِ الَّتِـــي الْتَزَمَهَا، وَفِيًّا لِآلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَحَبَّهُمْ، وَفِيًّا لِعَهْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

❊❊❊

... وَسِيقَ «مُسْـــلِمُ بْنُ عَقِيلٍ» إِلَى قَصْرِ الْإِمَارَةِ فِي الْكُوفَةِ بَعْدَ أَنْ جُرِّدَ مِنْ سِلَاحِهِ غَدْرًا وَحِيلَةً، وَقَدْ أَثْخَنَتْهُ الْجِرَاحُ، وَبَلَّلَتْ ثِيَابَهُ الدِّمَاءُ.

وَدَخَلُوا بِهِ عَلَى «ابْنِ زِيَادٍ»، فَلَمَّا رَأَى «مُسْلِمٌ» تَجَبُّرَهُ، قَالَ:

- السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَخَشِـــيَ عَوَاقِبَ الرَّدَى، وَأَطَاعَ الْمَلِكَ الْأَعْلَى.

فَتَبَسَّمَ «ابْنُ زِيَادٍ» ابْتِسَامَةَ اللَّئِيمِ، وَقَالَ بَعْضُ حُجَّابِهِ لِـ «مُسْلِمٍ»:

- يَا «مُسْـــلِمُ» أَمَا تَرَى الْأَمِيرَ ضَاحِكًا عَلَيْكَ؟! لَوْ قُلْتَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ.

فَقَالَ «مُسْلِمٌ»:

- وَاللهِ مَا عَلِمْتُ لِي أَمِيرًا غَيْرَ «الْحُسَيْنِ»، وَإِنَّمَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ ـ أَيْ عَلَى ابْنِ زِيَادٍ ـ بِالْإِمَارَةِ مَنْ يَخَافُ مِنْهُ.

فَقَالَ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- إِيهْ يَا «ابْنَ عَقِيلٍ»... أَتَيْتَ النَّـــاسَ وَأَمْرُهُمْ جَمِيعٌ، كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةٌ؛ لِتُشَتِّتَهُمْ، وَتُفَرِّقَ كَلِمَتَهُمْ، وَتَحْمِلَ بَعْضَهُمْ عَلَى قَتْلِ بَعْضٍ.

فَأَجَابَ «مُسْلِمٌ»:

- كَلَّا.. لَسْـــتُ لِذَلِكَ أَتَيْتُ، وَلَكِنَّ أَهْلَ الْمِصْرِ زَعَمُـــوا أَنَّ أَبَاكَ قَتَلَ خِيَارَهُمْ وَسَـــفَكَ دِمَاءَهُمْ، وَعَمِلَ فِيهِمْ أَعْمَالَ «كِسْرَى» وَ«قَيْصَرَ»، فَأَتَيْنَاهُمْ لِنَأْمُرَ بِالْعَدْلِ وَنَدْعُوَ إِلَى حُكْمِ الْكِتَابِ.

فَتَمَيَّزَ «ابْنُ زِيَادٍ» غَيْظًا مِنْ جُرْأَةِ «مُسْلِمٍ» عَلَيْهِ، فَقَالَ:

- وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ يَا فَاسِــقُ؟! لِــمَ لَا كُنْتَ تَعْمَلُ بِذَلِــكَ فِيهِمْ إِذْ أَنْتَ بِالْمَدِينَةِ تَشْرَبُ الْخَمْرَ؟!

فَقَالَ «مُسْلِمٌ»:

- أَنَا أَشْــرَبُ الْخَمْرَ؟! وَاللهِ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّــكَ غَيْرُ صَادِقٍ، وَأَنَّكَ قُلْتَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَأَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي، فَإِنِّي لَسْــتُ كَمَا ذَكَرْتَ، وَإِنَّ أَوْلَى بِهَا مِنِّي مَنْ يَلِغُ فِي دِمَاءِ الْمُسْــلِمِينَ وَلَغًا، وَيَقْتُلُ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ بِغَيْــرِ نَفْسٍ، وَيَقْتُلُ عَلَى الْغَضَبِ وَالظَّنِّ، وَهُــوَ يَلْهُو وَيَلْعَبُ كَأَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا!

فَقَالَ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- يَا فَاسِقُ، إِنَّ نَفْسَكَ تُمَنِّيكَ مَا حَالَ اللهُ دُونَكَ وَدُونَهُ، وَلَمْ يُرِكَ أَهْلَهُ.

فَقَالَ «مُسْلِمٌ»:

- فَمَنْ أَهْلُهُ يَا «ابْنَ زِيَادٍ»؟

فَقَالَ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «يَزِيدُ».

فَقَالَ «مُسْلِمٌ»:

- الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَرَضِينَا بِاللهِ حَكَمًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ.

قَالَ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- كَأَنَّكَ تَظُنُّ أَنَّ لَكُمْ فِي الْأَمْرِ (الْخِلَافَةِ) شَيْئًا؟

فَقَالَ «مُسْلِمٌ»:

- لَا وَاللهِ مَا هُوَ بِالظَّنِّ... وَلَكِنَّهُ الْيَقِينُ.

وَهُنَا بَلَغَتِ الْحِدَّةُ عِنْدَ «ابْنِ زِيَادٍ» أَوْجَهَا، وَسَوْرَةُ الْغَضَبِ وَالْحِقْدِ ذِرْوَتَهَا، فَقَالَ:

- قَتَلَنِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ قِتْلَةً لَمْ يُقْتَلْهَا أَحَدٌ فِي الْإِسْلَامِ مِنَ النَّاسِ!!

فَقَالَ «مُسْلِمٌ» هَازِئًا بِالْمَوْتِ وَالتَّهْدِيدِ:

- أَمَا إِنَّكَ أَحَقُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الْإِسْلَامِ مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ... أَمَا إِنَّكَ لَا تَدَعُ سُوءَ الْقِتْلَةِ، وَقُبْحَ الْمُثْلَةِ، وَخُبْثَ السِّيرَةِ، وَلُؤْمَ الْغَلَبَةِ، وَلَا أَحَدَ مِنَ النَّاسِ أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ.

فَأَقْبَلَ «ابْنُ زِيَادٍ» يَشْتُمُ «مُسْلِمًا»، وَيَسُبُّ «حُسَيْنًا» وَ«عَلِيًّا» وَ«عَقِيلًا»، وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ «مُسْلِمٌ»، ثُمَّ قَالَ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- اصْعَدُوا بِهِ فَوْقَ الْقَصْرِ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ، ثُمَّ أَتْبِعُوا جَسَدَهُ رَأْسَهُ!

فَقَالَ «مُسْلِمٌ» مُخَاطِبًا «عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْأَشْعَثِ» الَّذِي غَدَرَ بِهِ، وَأَخْفَرَ ذِمَّتَهُ مَعَهُ:

- يَا «ابْنَ الْأَشْعَثِ».. أَمَا وَاللهِ لَوْلَا أَنَّكَ أَمَّنْتَنِي لَمَا اسْتَسْلَمْتُ، قُمْ بِسَيْفِكَ دُونِي.. قَدْ أَخْفَرْتَ ذِمَّتَكَ.

فَأَطْرَقَ «ابْنُ الْأَشْعَثِ» وَلَمْ تَنْفَرِجْ شَفَتَاهُ بِكَلِمَةٍ، فَقَالَ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- أَيْنَ الرَّجُلُ الَّذِي ضَرَبَ «ابْنُ عَقِيلٍ» رَأْسَهُ وَعَاتِقَهُ؟

فَذَهَبُوا يَدْعُونَهُ، فَقَالَ «مُسْلِمٌ»:

- دَعْنِي أُوصِي إِلَى بَعْضِ قَوْمِي...

ثُمَّ نَظَرَ فِي جُلَسَـاءِ «ابْنِ زِيَادٍ» وَفِيهِمْ «عُمَرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ»، فَقَالَ لَهُ:

- يَا «عُمَرُ»، إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكَ قَرَابَةً، وَلِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ، وَهِيَ سِرٌّ. فَقُمْ مَعِي إِلَى نَاحِيَةِ الْقَصْرِ حَتَّى أَقُولَهَا لَكَ.

فَأَبَـى «عُمَرُ» أَنْ يَقُومَ مَعَهُ حَتَّى أَذِنَ لَهُ «ابْنُ زِيَادٍ»، فَقَامَ فَتَنَحَّى، فَقَالَ لَهُ «مُسْلِمٌ»:

- إِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فِي الْكُوفَةِ سَـبْعَمِئَةِ دِرْهَمٍ فَاقْضِهَا عَنِّي، وَاسْتَوْهِبْ جُثَّتِي مِنِ «ابْنِ زِيَادٍ» وَوَارِهَا، وَابْعَثْ إِلَى «الْحُسَـيْنِ»؛ فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْهِ أَنَّ النَّاسَ مَعَهُ، وَلَا أَرَاهُ إِلَّا مُقْبِلًا.

فَالْتَفَتَ «عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ» إِلَى «ابْنِ زِيَادٍ» وَقَالَ:

- أَتَدْرِي مَا قَالَ لِي؟

وَدُونَ أَنْ يُجِيبَهُ «ابْنُ زِيَادٍ» بِشَيْءٍ، رَاحَ يُذِيعُ وَصِيَّةَ «مُسْلِمٍ»!

فَقَالَ لَهُ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- قَبَّحَكَ اللهُ مِنْ مُسْـتَوْدَعِ سِرًّا، وَاللهِ لَوْ أَنَّهُ بَاحَ إِلَيَّ بِسِرِّهِ لَكَتَمْتُ عَلَيْهِ، وَقَضَيْتُ حَاجَتَهُ، وَلَكِنْ مِنْ حَيْثُ أَفْشَـيْتَ سِـرَّهُ فَلَا يَخْرُجْ لِحَرْبِ «الْحُسَيْنِ» غَيْرُكَ!

فِي ذَلِكَ الْحِينِ خَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي طَلَبَهُ «ابْنُ زِيَادٍ»، فَقَالَ لَهُ:

- أَنْتَ تَقْتُلُهُ.

وَأُصْعِدَ «مُسْلِمٌ» إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ وَهُوَ يُكَبِّرُ وَيُهَلِّلُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الرَّجُلِ وَقَالَ لَهُ:

- دَعْنِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَافْعَلْ مَا بَدَا لَكَ.

فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ:

- لَيْسَ إِلَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلٍ.

وَرَاحَ «مُسْلِمٌ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُرَدِّدُ:

جَـــزَى اللهُ عَـــنَّا قَوْمَنَا شَرَّ مَا جَزَى

شِـــرَارَ الْمَـوَالِي بَلْ أَعَـــقَّ وَأَظْـلَمَا

هُـمْ مَنَعُـــونَا حَقَّنَـــا وَتَظَـاهَـرُوا

عَـــلَيْنَا وَرَامُـوا أَنْ نَـــذِلَّ وَنُـرْغَـمَا

أَغَـــارُوا عَـلَيْنَا يَسْفِكُـــونَ دِمَـــاءَنَا

وَلَـمْ يَرْقُبُـــوا فِينَا ذِمَـــامًا وَلَا دَمَا

فَنَحْنُ بَنُـــو «الْمُخْتَـــارِ» لَا خَلْقَ مِثْلَنَا

نَـــبِيٌّ أَبَـــتْ أَرْكَـــانُهُ أَنْ تُهَـــدَّمَا

ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ:

- اللَّهُمَّ احْكُمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ غَرُّونَا وَخَذَلُونَا.

لَقَدْ كَانَ مَصْرَعُ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَاتِحَةَ كِتَابِ الشَّهَادَةِ. وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَ «قَيْسُ بْنُ مُسْهِرٍ» يَسْتَعِدُّ لِيَعْتَلِيَ الْمِنَصَّةَ، وَلِيَتَّخِذَ مَوْقِفَهُ وَمَكَانَهُ فِي قَافِلَةِ الْأَبْطَالِ، وَكَأَنَّهُ يَتَهَيَّأُ لِيَوْمِ زِفَافِهِ إِلَى الْحُورِ الْعِينِ، وَلِيَكُونَ الضَّحِيَّةَ التَّالِيَةَ عَلَى مَذْبَحِ أَهْوَاءِ وَشَهَوَاتِ «بَنِي أُمَيَّةَ».

انْطَلَقَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِأَهْلِهِ وَمَوَالِيهِ، إِلَى نَاحِيَةِ الْأَرْضِ الَّتِي تُنَادِيهِ، إِلَى كَرْبَلَاءَ، فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِمَاءٍ مِنْ مِيَاهِ الْعَرَبِ وَلَا حَيٍّ مِنْ أَحْيَائِهِمْ إِلَّا اتَّبَعُوهُ وَانْضَمُّوا إِلَيْهِ.

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْحَاجِزَ مِنْ بَطْنِ «ذِي الرُّمَّةِ» كَتَبَ كِتَابًا إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ مَنْ يَحْمِلُ هَذَا الْكِتَابَ؟ فَوَقَعَتْ عَيْنَاهُ عَلَى شَابٍّ عَرَفَ فِيهِ الْجُرْأَةَ وَالْإِخْلَاصَ وَالْوَفَاءَ، وَعَرَفَ فِيهِ الشَّجَاعَةَ الَّتِي لَا تُقْهَرُ، وَعَهِدَ فِيهِ الْمُلَازَمَةَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ، كَمَا عَرَفَ فِيهِ الْإِيمَانَ الصُّلْبَ، وَالتَّحَدِّيَ الْأَكْبَرَ، إِنَّهُ «قَيْسُ بْنُ مُسْهِرٍ الصَّيْدَاوِيُّ».

وَأَدْرَكَ «قَيْسٌ» أَنَّ «الْحُسَيْنَ» يُرِيدُهُ، وَقَدْ تَرَكَّزَتْ عَيْنَاهُ عَلَيْهِ، فَهَبَّ وَاقِفًا وَتَنَاوَلَ الْكِتَابَ، وَمَضَى إِلَى الْكُوفَةِ مُزَوَّدًا بِأَطْيَبِ دُعَاءٍ مِنْ فَمٍ كَرِيمٍ وَقَلْبٍ رَحِيمٍ.

وَجَاءَ فِي كِتَابِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنَ «الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ» إِلَى إِخْوَانِهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكُمُ اللهَ الَّذِي لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ كِتَابَ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» جَاءَنِي يُخْبِرُنِي فِيهِ بِحُسْنِ رَأْيِكُمْ، وَاجْتِمَاعِ مَلَئِكُمْ عَلَى نَصْرِنَا، وَالطَّلَبِ بِحَقِّنَا، فَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحْسِنَ لَنَا الصَّنِيعَ، وَأَنْ يُثِيبَكُمْ عَلَى ذَلِكَ أَعْظَمَ الْأَجْرِ، وَقَدْ شَخَصْتُ إِلَيْكُمْ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِثَمَانٍ مَضَيْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ، فَإِذَا قَدِمَ عَلَيْكُمْ رَسُولِي «قَيْسُ بْنُ مُسْهِرٍ» فَاكْتُمُوا أَمْرَكُمْ، وَجِدُّوا، فَإِنِّي قَادِمٌ عَلَيْكُمْ فِي أَيَّامِي هَذِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ».

حَمَلَ «قَيْسٌ» الْكِتَابَ ـ الْأَمَانَةَ ـ وَمَضَى بِهِ يَجِدُّ فِي طَلَبِ الْكُوفَةِ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَدْ بَلَغَ الْقَادِسِيَّةَ، أَمْسَكَ بِهِ «الْحُصَيْنُ بْنُ نُمَيْرٍ»، وَقَبَضَ عَلَيْهِ، كَمَا وَقَعَ الْكِتَابُ بِيَدِ «الْحُصَيْنِ»، وَتَهَلَّلَ وَجْهُ الْغَدْرِ بِابْتِسَامَةِ الشَّمَاتَةِ، وَأَدْرَكَ «قَيْسٌ» أَنَّهُ مَقْتُولٌ لَا مَحَالَةَ.

ثُمَّ إِنَّهُ حُمِلَ إِلَى «ابْنِ زِيَادٍ» فِي الْكُوفَةِ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ شَاءَ «ابْنُ زِيَادٍ» أَنْ يُذِلَّهُ وَيُرْغِمَهُ عَلَى سَبِّ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ:

ـ يَا فَتَى (وكَانَ يَجْهَلُ مَنْ هُوَ).. اصْعَدْ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ، فَسُبَّ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذَّابِ «عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ» وَابْنَهُ «الْحُسَيْنَ»!

***

الدَّوْرُ الْعَظِيمُ

أَدْرَكَ «قَيْسٌ» أَنَّ مُحْتَوَى الْكِتَابِ الَّذِي يَحْمِلُهُ قَدْ حُجِبَ عَنِ النَّاسِ، وَأَنَّ الْفُرْصَةَ فِي إِبْلَاغِهِمْ بِمَضْمُونِهِ قَدْ فَاتَتْ، وَهَا هِيَ فُرْصَةٌ جَدِيدَةٌ تَسْنَحُ لَهُ، فَتَظَاهَرَ بِالطَّاعَةِ لِأَمْرِ «ابْنِ زِيَادٍ» وَصَعِدَ إِلَى أَعْلَى الْقَصْرِ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَاحْتَشَدُوا، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

ـ أَيُّهَا النَّاسُ... هَذَا «الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ» مِنْ خَيْرِ خَلْقِ اللهِ، وَهُوَ ابْنُ «فَاطِمَةَ» بِنْتِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)، وَأَنَا رَسُولُهُ إِلَيْكُمْ، وَقَدْ فَارَقْتُهُ بِالْحَاجِزِ مِنْ بَطْنِ «ذِي الرُّمَّةِ»، فَأَجِيبُوهُ وَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا...

ثُمَّ لَعَنَ «عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زِيَادٍ» وَأَبَاهُ، وَاسْتَغْفَرَ لِـ «عَلِيٍّ» وَ«الْحُسَيْنِ».

لَقَدْ فَوَّتَ «قَيْسٌ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الْفُرْصَةَ عَلَى «ابْنِ زِيَادٍ»، وَأَدَّى مَا ائْتُمِنَ عَلَيْهِ، فَغَلَى الدَّمُ فِي عُرُوقِ «ابْنِ زِيَادٍ» إِزَاءَ هَذِهِ الْمُفَاجَأَةِ، وَاحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ غَضَبًا لِهَذَا التَّحَدِّي الَّذِي لَمْ يَتَعَوَّدْهُ مِنَ النَّاسِ، لَقَدْ كَانَ يَأْمُرُ فَيُطَاعُ، وَهَا هُوَ الْآنَ فِي مَوْقِفٍ حَرَجٍ.

فَأَمَرَ بِـ «قَيْسٍ» أَنْ يُلْقَى مِنْ فَوْقِ الْقَصْرِ... فَتَشَهَّدَ «قَيْسٌ» وَاسْتَرْجَعَ وَحَوْقَلَ، وَاسْتَقْبَلَ الْمَوْتَ بِبَسْمَةِ الرِّضَا.

ثُمَّ أُلْقِيَ... فَسَــقَطَ وَقَدْ تَمَزَّقَتْ جُثَّتُهُ، وَتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهُ، وَسَــالَتْ دِمَاؤُهُ، وَلَفِظَ أَنْفَاسَهُ...

وَسَــجَّلَ «قَيْسٌ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِمَوْقِفِهِ هَذَا دَوْرًا مِنْ أَعْظَمِ الْأَدْوَارِ، الَّتِي اضْطَلَعَتْ بِأَعْبَائِهَا فِئَةٌ مُؤْمِنَــةٌ كَانَتْ وَقُودَ الثَّوْرَةِ عَلَى الظُّلْمِ، ظُلْمِ «بَنِي أُمَيَّةَ» وَعَسْفِهِمْ.

رَضِيَ اللهُ عَنِ «قَيْسِ بْنِ مُسْــهِرٍ الصَّيْدَاوِيِّ»، وَجَزَاهُ عَنِ اسْتِشْهَادِهِ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

❊❊❊

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَفِيفٍ الْأَزْدِيُّ

نَسَبُهُ

هُوَ: «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ الْأَزْدِيُّ» ـ نِسْبَةً إِلَى «الْأَزْدِ»، ثُمَّ «الْغَامِدِيُّ»، ثُمَّ «الْوَالِبِيُّ» ـ هَكَذَا جَاءَ تَعْرِيفُهُ فِي تَارِيخِ الطَّبَرِيِّ. وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا.

وَيَبْدُو أَنَّهُ مِنَ الْمَوَالِي؛ لِتَنَقُّلِ وَلَاءِ النَّسَبِ مِنْ قَبِيلَةٍ إِلَى أُخْرَى، وَلَا غَرَابَةَ فِي ذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ هَذَا مَأْلُوفًا وَمَقْبُولًا عِنْدَ الْعَرَبِ.

وَلَوْلَا أَنَّ الْحَقِيقَةَ الْعِلْمِيَّةَ وَالْمَوْضُوعِيَّةَ التَّارِيخِيَّةَ تَفْرِضُ عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ ذَلِكَ لَمَا عَرَضْنَا لَهُ أَبَدًا، وَلَاكْتَفَيْنَا بِمَا هُوَ أَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ وَأَجْدَى، فَإِنَّ نَسَبَهُ لِلْإِسْلَامِ وَوَلَاءَهُ لِلْحَقِّ، وَاسْتِشْهَادَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْقَعُ عِنْدَنَا وَآثَرُ لَدَيْنَا وَأَبْلَغُ فِي التَّعْرِيفِ.

يَوْمُ «الْجَمَلِ»

خَرَجَ «طَلْحَةُ» وَ«الزُّبَيْرُ» إِلَى «مَكَّةَ» وَأَغْرَيَا «عَائِشَةَ» بِذَلِكَ، وَقَدْ كَوَّنُوا حِزْبًا أَوْ جَمَاعَةً تُحَرِّضُ عَلَى الْإِمَامِ «عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، آخِذِينَ عَلَيْهِ تَبَاطُؤَهُ فِي الْأَخْذِ بِثَأْرِ «عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ» وَالِاقْتِصَاصِ لَهُ مِنْ قَتَلَتِهِ،

وَأَخَذُوا يُحَرِّضُونَ النَّاسَ وَيُثِيرُونَهُمْ، وَاتَّفَقُوا أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى الْبَصْرَةِ بِمَنْ مَعَهُمْ مِنَ النَّاسِ وَالْجُنْدِ؛ كَيْ يَحْتَمُوا فِيهَا وَيَطْلُبُوا إِلَى «عَلِيٍّ» أَنْ يُسَلِّمَهُمْ قَتَلَةَ «عُثْمَانَ». وَكَانَتْ عُدَّتُهُمْ أَلْفَ فَارِسٍ وَأَلْفَيْ رَاجِلٍ، وَ«عَائِشَةُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَتَقَدَّمُهُمْ عَلَى جَمَلٍ فِي هَوْدَجٍ، حَتَّى نَزَلُوا «الْمِرْبَدَ» قَرِيبًا مِنَ الْبَصْرَةِ، وَهُنَاكَ جَرَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْصَارِ «عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قِتَالٌ، ثُمَّ تَحَاجَزُوا لِلْهُدْنَةِ.

كَانَ «عَلِيٌّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ تَجَهَّزَ لِلْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ نَبَأُ حُشُودِ «طَلْحَةَ» وَ«الزُّبَيْرِ» وَ«عَائِشَةَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا عَدَلَ عَنْ وِجْهَتِهِ وَسَارَ نَحْوَ الْبَصْرَةِ.

وَلَقَدْ كَانَ الْمَبْدَأُ الَّذِي مَضَى عَلَيْهِ هُوَ قَوْلَهُ هَذَا: «أَمَّا الَّذِي نُرِيدُ وَنَنْوِي فَالْإِصْلَاحُ إِنْ قَبِلُوا مِنَّا وَأَجَابُوا، فَإِنْ لَمْ يُجِيبُوا نَدَعْهُمْ بِغَدْرِهِمْ وَنُعْطِهِمُ الْحَقَّ وَنَصْبِرْ».

كَمَا حَاوَلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يُفَاوِضَ «طَلْحَةَ» وَ«الزُّبَيْرَ» قَبْلَ الْوُصُولِ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا بِعِدَّةِ رَسَائِلَ وَكُتُبٍ، وَلَكِنْ دُونَ جَدْوَى.

وَكَانَ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ» مِنَ الْفُرْسَانِ الْأَشِدَّاءِ الَّذِينَ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِمُ الْإِمَامُ فِي قِتَالِهِ، كَمَا كَانَ «عَبْدُ اللهِ» مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ حَمَاسًا وَانْدِفَاعًا فِي تَأْيِيدِهِ لِمَوَاقِفِ الْإِمَامِ بِالْكَلِمَةِ وَالسَّيْفِ.

وَهَا هُوَ الْآنَ فِي طَلِيعَةِ الْمَسِيرَةِ يَتَحَرَّقُ شَوْقًا لِيَوْمِ اللِّقَاءِ وَتَسْجِيلِ النَّصْرِ.

وَدَنَتِ الْجُيُوشُ مِنْ بَعْضِهَا، وَلَمْ تُفْلِحْ مَعَ «طَلْحَةَ» وَ«الزُّبَيْرِ» دَعْوَةُ السَّلَامِ مِنَ الْإِمَامِ، وَأَقَامَ الطَّرَفَانِ أَيَّامًا فِي مُعَسْكَرَاتِهِمْ دُونَ مُنَاجَزَةٍ أَوْ قِتَالٍ، وَالْإِمَامُ يُحَاوِلُ جَهْدَ طَاقَتِهِ أَنْ يَحْقِنَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَيَمْنَعَ الْمَجْزَرَةَ.

ثُمَّ نَشِبَتِ الْمَعْرَكَةُ، وَحَمِيَ وَطِيسُهَا، وَعَلَا غُبَارُهَا وَثَارَ نَقْعُهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَاشْتَبَكَتِ السُّيُوفُ وَتَعَانَقَتِ الرِّمَاحُ، وَتَجَنْدَلَ الْفُرْسَانُ، وَابْتَلَّتِ الْأَرْضُ بِالدِّمَاءِ!

وَكَانَ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ» يَصُولُ وَيَجُولُ، وَمَا إِنْ يَبْرُزْ أَمَامَ كَوْكَبَةٍ مِنَ الْفُرْسَانِ حَتَّى يَفِرُّوا مِنْ أَمَامِهِ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ؛ خَشْيَةَ بَأْسِهِ، وَجَبَرُوتِ سَيْفِهِ، وَهُوَ مَعَ كُلِّ هَذَا لَا يُبَالِي أَوَقَعَ عَلَى الْمَوْتِ أَمْ وَقَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِ!

وَبَيْنَمَا هُوَ فِي صَمِيمِ الْمَيْدَانِ وَقَدْ أُصِيبَ بِبَعْضِ الْجِرَاحِ الطَّفِيفَةِ، وَقَدْ بَلَّلَ الْعَرَقُ ثِيَابَهُ، غَافَلَهُ أَحَدُ فُرْسَانِ جَيْشِ «طَلْحَةَ» وَ«الزُّبَيْرِ» وَطَعَنَهُ فِي وَجْهِهِ، فَأُصِيبَ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ، مِمَّا زَادَهُ تَصْمِيمًا عَلَى الْقِتَالِ وَاسْتِبْسَالًا فِيهِ.

وَانْهَزَمَ جَيْشُ الْمُتَحَالِفِينَ بَعْدَ أَنْ تَرَكَ «الزُّبَيْرُ» الْمَيْدَانَ، وَقَدْ لَامَ نَفْسَهُ عَلَى اشْتِرَاكِهِ فِي قِتَالِ «عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَأَدْرَكَهُ شَخْصٌ يُدْعَى «ابْنَ جُرْمُوزٍ» فَقَتَلَهُ، وَقُتِلَ «طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ»، وَأُعِيدَتْ «عَائِشَةُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إِلَى مَكَّةَ وَقَدْ عَامَلَهَا الْإِمَامُ غَايَةً فِي التَّكْرِيمِ؛ وَفَاءً مِنْهُ لِذِكْرَى رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ).

وَخَرَجَ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ» مِنْ مَعْرَكَةِ «الْجَمَلِ» يَحْمِلُ وِسَامَ الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ، وَالْجُرْأَةِ فِي الِاقْتِحَامِ، وَشَهَادَةً هِيَ مَفْخَرَةٌ لَهُ عَلَى الْأَيَّامِ.

خَرَجَ وَقَدْ ذَهَبَتْ إِحْدَى عَيْنَيْهِ وَفَاءً مِنْهُ لِآلِ الْبَيْتِ، وَتَضْحِيَةً مِنْهُ فِي سَبِيلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْحَقِّ وَعَنْ حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ.

وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْحَادِثَةُ وَحْدَهَا هِيَ الَّتِي سَجَّلَ فِيهَا «عَبْدُ اللهِ» بِدَمِهِ وَبِأَغْلَى مَا يَمْلِكُ صَفْحَةً خَالِدَةً فِي سِجِلِّ الزَّمَنِ، بَلْ أَضَافَ إِلَيْهَا صَفَحَاتٍ مُشْرِقَاتٍ جَعَلَتْهُ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ عُنْوَانًا بَارِزًا فِي الْإِخْلَاصِ، وَقُدْوَةً سَامِيَةً فِي الثَّبَاتِ عَلَى الْحَقِّ مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ بَاهِظًا وَالتَّضْحِيَةُ عَظِيمَةً.

❋❋❋

«فِي صِفِّينَ»

لَقَدْ كَانَ لِانْتِصَارِ الْإِمَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ «الْجَمَلِ» آثَارٌ كَبِيرَةٌ تَرَتَّبَتْ عَلَى ذَلِكَ النَّصْرِ؛ فَفِي الْحِجَازِ كُلِّهَا لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ مُنَافِسٌ أَوْ طَامِعٌ، إِذِ اسْتَقَرَّتِ الْأَوْضَاعُ وَسَادَ الْهُدُوءُ.

أَمَّا فِي الْكُوفَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَطْرَافِ الْعِرَاقِ فَقَدْ رَجَحَتْ كِفَّتُهُ عَلَى كِفَّةِ «مُعَاوِيَةَ»، وَأَضْحَى وَالِي دِمَشْقَ وَكَأَنَّهُ مَحْصُورٌ فِيهَا، وَسُلْطَانُ حُكْمِهِ لَا يَتَجَاوَزُهَا، وَكَانَ هَذَا مَدْعَاةَ تَحَرُّكٍ جَدِيدٍ لِـ «مُعَاوِيَةَ»، وَسَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ التَّحَشُّدَاتِ الَّتِي سَعَى إِلَيْهَا، وَالْمُرَاوَغَاتِ الَّتِي انْتَهَجَهَا.

بَعْدَ أَنِ انْتَهَتْ مَعْرَكَةُ «الْجَمَلِ» إِلَى مَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ، مَضَى «عَلِيٌّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى «الْبَصْرَةِ» وَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنْ أَهْلِهَا، وَتَابَعَ سَيْرَهُ مِنْهَا إِلَى «الْكُوفَةِ» فَبَايَعَهُ أَهْلُهَا وَأَقَامَ فِيهَا، ثُمَّ وَلَّى مَنْ وَلَّى عَلَى أَمْصَارِ الْعِرَاقِ وَفَارِسَ، وَعَزَلَ مَنْ عَزَلَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى «مُعَاوِيَةَ» فِي الشَّامِ يَدْعُوهُ إِلَى بَيْعَتِهِ، وَيُعْلِمُهُ أَنَّ إِجْمَاعَ النَّاسِ عَلَى خِلَافَتِهِ فِي الْحِجَازِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ وَغَيْرِهَا قَدْ تَمَّ.

فَلَمَّا وَصَلَ رَسُولُ «عَلِيٍّ» إِلَى «مُعَاوِيَةَ» اسْتَدْعَى إِلَيْهِ خُلَصَاءَهُ مِمَّنْ يَثِقُ بِرَأْيِهِمْ وَمَشُورَتِهِمْ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ «عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ»، وَعَرَضَ

عَلَيْهِ كِتَابَ «الْإِمَامِ» وَمَا يَدْعُوهُ إِلَيْهِ.

وَلَمْ يَكُنْ «مُعَاوِيَةُ» يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ، وَلَكِنَّهَا الْمُرَاوَغَةُ وَالْخَدِيعَةُ، فَقَالُوا جَمِيعًا:

- لَا نُبَايِعُهُ مَا لَمْ يَقْتُلْ قَتَلَةَ «عُثْمَانَ»، فَإِنْ فَعَلَ بَايَعْنَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ قَاتَلْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.

وَلَقَدْ أَضْحَى «قَمِيصُ عُثْمَانَ» مَثَلًا فِي الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، قَمِيصُهُ الَّذِي عَلَّقَهُ «مُعَاوِيَةُ» عَلَى مِنْبَرِ مُصَلَّاهُ فِي دِمَشْقَ يَسْتَثِيرُ بِهِ النَّاسَ وَيُحَفِّزُهُمْ، وَيُلْهِبُ كَوَامِنَ الْحِقْدِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَالثَّوْرَةَ الْحَمْرَاءَ فِي قُلُوبِهِمْ. وَكُلُّ ذَلِكَ ذَرِيعَةٌ رَخِيصَةٌ لِلْوُصُولِ إِلَى السُّلْطَانِ وَالْحُكْمِ.

وَحِينَ عَادَ الرَّسُولُ إِلَى «الْإِمَامِ» يُبَلِّغُهُ رَدَّ «مُعَاوِيَةَ»، قَرَّرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَخْرُجَ بِنَفْسِهِ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ؛ لِيُؤَدِّبَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَعُوا الطَّاعَةَ وَفَارَقُوا الْجَمَاعَةَ، وَالَّذِينَ يُوشِكُونَ أَنْ يَضْرِبُوا وَحْدَةَ الْمُسْلِمِينَ وَيَدُقُّوا إِسْفِينًا فِي بُنْيَانِهِمْ لِيُصَدِّعُوهُ غَيْرَ مُبَالِينَ وَلَا مُعْتَبِرِينَ.. هَمُّهُمُ السُّلْطَانُ، وَمَرْكَبُهُمُ الدِّرْهَمُ الرَّنَّانُ، وَنَافِخُ بُوقِهِمُ الشَّيْطَانُ.

تُرَى... هَلْ يَقْعُدُ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ» مَعَ الْقَاعِدِينَ؟ وَهَلْ يَمْنَعُهُ عَوَرُهُ وَعَدَمُ وُضُوحِ الرُّؤْيَةِ لَدَيْهِ مِنْ أَنْ يُشَارِكَ فِي الْجِهَادِ دِفَاعًا عَنِ الْحَقِّ كَمَا شَارَكَ مِنْ قَبْلُ؟!

كَيْفَ يَقْعُدُ أَوْ يَلْتَزِمُ بَيْتَهُ وَهُوَ الَّذِي نَذَرَ نَفْسَــهُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِآلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ؟!

فَمَا إِنْ نُــودِيَ فِي الْكُوفَةِ: حَيَّ عَلَى الْجِهَادِ، حَتَّــى كَانَ «عَبْدُ اللهِ» فِي الْمُقَدِّمَةِ، يَمْتَطِي صَهْوَةَ جَوَادِهِ، مُتَقَلِّدًا سَيْفَهُ وَرُمْحَهُ.

لَا يَغِيبُ عَنْ نَظَرِ الْإِمَامِ أَبَدًا، فَهُوَ دَائِمًا تَحْتَ سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ.

وَكَانَ رَضِــيَ اللهُ عَنْهُ يُقَدِّرُ هَذِهِ الْمَحَبَّةَ الْفَائِقَةَ وَهَذَا التَّعَلُّقَ الشَّــدِيدَ لَدَى «عَبْدِ اللهِ»، فَجَعَلَهُ مَوْضِعَ ثِقَتِهِ.

وَخَــرَجَ «مُعَاوِيَةُ» مِنْ دِمَشْــقَ أَيْضًا عَلَى رَأْسِ جَيْــشٍ كَثِيرِ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ.

وَبَلَغَ الطَّرَفَانِ نَهْرَ الْفُرَاتِ، وَحَاوَلَ جَيْشُ «مُعَاوِيَةَ» أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ عَنْ جَيْشِ الْإِمَامِ؛ بِقَصْدِ إِنْهَاكِ أَفْرَادِهِ مِــنَ الْعَطَشِ وَالظَّمَإِ وَإِضْعَافِ رُوحِ الْقِتَالِ عِنْدَهُمْ، وَلَكِنَّ طَلِيعَةَ جَيْشِ الْإِمَامِ اسْــتَطَاعَتْ أَنْ تُزَحْزِحَ جَيْشَ «مُعَاوِيَةَ»، وَأَنْ تَصِلَ إِلَى الْمَاءِ رَغْمًا عَنْهُ.

وَكَمَــا كَانَ الْإِمَامُ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ وَالْفُرُوسِــيَّةِ،وَفِي كَثِيرٍ مِنَ الصِّفَاتِ الْخِلْقِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ، كَانَ إِمَامًا فِي الْحِلْمِ وَالصَّبْرِ الَّذِي هُوَ نِصْفُ الْإِيمَانِ.

وَلَقَدْ صَبَرَ وَحَلُمَ عَلَى مَوْقِفِ «مُعَاوِيَــةَ» وَجُنْدِهِ، وَلَمْ يَبْدَأْهُمْ بِقِتَالٍ، وَطَالَ وُقُوفُهُ حَتَّى ظَهَرَ التَّذَمُّرُ فِي أَوْسَــاطِ جَيْشِهِ؛ فَقَدْ كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ

اللِّقَاءَ، وَكَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُهَدْهِدُ مِنْ ثَوْرَتِهِمْ، وَيَكْبَحُ جِمَاحَ فَوْرَتِهِمْ.

وَاعْتَمَدَ «مُعَاوِيَةُ» الْخَدِيعَةَ وَالْحِيلَةَ، فَأَخَذَ يُحَرِّضُ جُنْدَ الْعِرَاقِ الَّذِينَ هُمْ فِي جَيْشِ الْإِمَامِ عَلَى خَلْعِ الطَّاعَةِ، وَيُغْرِيهِمْ بِالْمَالِ تَارَةً، وَيُخَوِّفُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، فَتَخَلَّوْا عَنْ مَوَاقِفِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا يُرَابِطُونَ، مِمَّا اضْطَرَّ «عَلِيًّا» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَنْسَحِبَ أَيْضًا وَهُوَ يُرَدِّدُ:

فَلَوْ أَنِّي أُطِعْتُ عَصَمْتُ قَوْمِي
إِلَى رُكْنِ الْيَمَامَةِ أَوْ شَآمِ
وَلَكِنِّي إِذَا أَبْرَمْتُ أَمْرًا
يُخَالِفُهُ الطَّغَامُ بَنُو الطَّغَامِ

❊❊❊

ثُمَّ تَنَاجَزَ فُرْسَانُ الْفَرِيقَيْنِ وَتَقَاتَلُوا، وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ فَتْرَةً مِنَ الْأَيَّامِ، وَلَا يَمُرُّ يَوْمٌ دُونَ أَنْ يَخْسَرَ «مُعَاوِيَةُ» فَارِسًا مِنْ فُرْسَانِهِ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّ الْقَتْلَ قَدْ يَقْضِي عَلَى الشُّجْعَانِ وَالْأَشِدَّاءِ عِنْدَهُ، الْتَمَسَ الْمَشُورَةَ مِنْ «عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ» الَّذِي نَصَحَهُ بِالِاشْتِبَاكِ الْكُلِّيِّ وَالِالْتِحَامِ التَّامِّ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ الْعَدَدِ عِنْدَهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ.

وَلَمْ يُؤَدِّ الِاشْتِبَاكُ غَايَتَهُ، إِذْ إِنَّ التَّضَعْضُعَ فِي صُفُوفِ جَيْشِ «مُعَاوِيَةَ» قَدْ بَدَا وَاضِحًا، وَصُفُوفُ جُنْدِهِ قَدْ أَخَذَتْ تَفْقِدُ تَرَاصَّهَا وَتَمَاسُكَهَا.

وَفِي خِضَمِّ هَذَا الْأَتُونِ الْمُلْتَهِبِ بِحَرَارَةِ الدِّمَاءِ وَقَيْظِ السَّمَاءِ، كَانَ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ» سَيِّدًا مِنْ أَسْيَادِ الْمَوْقِفِ، وَبَطَلًا مِنْ أَبْطَالِ الْقِتَالِ، يَخْتَرِقُ صُفُوفَ الْعَدُوِّ حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَهَا، غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَجِلٍ، يَطْعَنُ وَيَضْرِبُ، وَيَصُولُ وَيَجُولُ، يَحْمِلُ الْحَقَّ فِي قَلْبِهِ وَعَلَى لِسَانِهِ، وَالسَّيْفَ فِي يَدِهِ.

وَكَمَا خَرَجَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ «الْجَمَلِ» بِوِسَامٍ يَشْهَدُ لَهُ بِصِدْقِ الْجِهَادِ وَالْإِخْلَاصِ وَالتَّضْحِيَةِ، فَفَقَدَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ، خَرَجَ أَيْضًا يَوْمَ «صِفِّينَ» بِوِسَامٍ آخَرَ، كَانَ أَبْلَغَ فِي مَعْنَاهُ وَفِي دَلَالَتِهِ.

فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي قَدَّمْنَا مِنَ الشَّجَاعَةِ النَّادِرَةِ وَالْجُرْأَةِ الْفَائِقَةِ وَالْجَوْلَةِ الْمُوَفَّقَةِ، عَاجَلَهُ غَدْرًا أَحَدُ الْمُتَرَبِّصِينَ بِطَعْنَةِ رُمْحٍ أَصَابَتْهُ فِي عَيْنِهِ الثَّانِيَةِ، وَفَقَدَ الرُّؤْيَةَ نِهَائِيًّا!

اسْوَدَّتِ الدُّنْيَا فِي عَيْنَيْهِ وَأَظْلَمَ الْوُجُودُ مِنْ حَوْلِهِ، فَأَخَذَ يَتَلَمَّسُ طَرِيقَ الْعَوْدَةِ إِلَى صُفُوفِ جَيْشِ الْإِمَامِ.

وَلَقَدْ كَانَ «عَلِيٌّ» غَايَةً فِي الْحُزْنِ وَالْأَلَمِ عَلَى صَدِيقِهِ الْوَفِيِّ وَحَبِيبِهِ الْمُخْلِصِ، وَحَمِدَ لَهُ حُسْنَ صَنِيعِهِ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، وَسَأَلَ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُثِيبَهُ وَيُثِيبَ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ أَمْثَالَهُ أَجْزَلَ الثَّوَابِ، وَيُكَافِئَهُمْ مِنْ لَدُنْهُ تَعَالَى بِمَنَازِلِ الْأَبْرَارِ وَالصَّالِحِينَ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ.

***

وَطُوِيَتْ صَفْحَةُ «صِفِّينَ» بِالْخَدِيعَةِ وَالْمَكْرِ، وَعَادَ الْإِمَامُ إِلَى الْكُوفَةِ، وَقَدِ انْفَضَّ عَنْهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ.

وَعَادَ مَعَهُ إِلَيْهَا «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ» يُلَمْلِمُ جِرَاحَهُ، وَيَمْسَحُ دِمَاءَهُ، وَيَنْتَظِرُ قَضَاءَ اللهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَقْعَدَهُ الْعَمَى عَنْ كُلِّ حَرَكَةٍ.

عَادَ أَعْمَى الْبَصَرِ وَلَكِنْ مُفَتَّحَ الْبَصِيرَةِ، أَعْمَى الْعَيْنَيْنِ بَصِيرَ الْقَلْبِ، الْقَلْبِ الَّذِي عَشِقَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَبَذَلَ فِي سَبِيلِهِمْ أَغْلَى مَا يَمْلِكُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْحَوَاسِّ، غَيْرَ نَادِمٍ وَلَا مُتَأَلِّمٍ، يَفْخَرُ عَلَى الزَّمَانِ بِوِسَامٍ هُوَ رَمْزُ الْوَفَاءِ وَعُنْوَانُ الْإِخْلَاصِ.

❊❊❊

وَقَبَعَ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ» فِي بَيْتِهِ فِي «الْكُوفَةِ» يَرْقُبُ الْأَحْدَاثَ وَيَعُدُّ الْأَيَّامَ.

سَمِعَ بِمَقْتَلِ الْإِمَامِ غَدْرًا وَغِيلَةً، فَخَرَجَ مِنْ دَارِهِ إِلَى حَيْثُ سُجِّيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَهْدِيهِ قَلْبُهُ فِي ظُلُمَاتِ الدُّنْيَا، وَوَقَفَ عِنْدَ رَأْسِ الْجُثْمَانِ الطَّاهِرِ بَاكِيًا وَمُوَدِّعًا؛ عَاجِزًا عَنِ الْحَرَكَةِ.. وَهَذَا مَا كَانَ يَزِيدُ فِي أَلَمِهِ وَبُكَائِهِ.

وَبُويِعَ «الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بِالْخِلَافَةِ، ثُمَّ تَنَازَلَ رَأْفَةً بِالْمُسْلِمِينَ وَحَقْنًا لِدِمَائِهِمْ، وَجَمْعًا لِكَلِمَتِهِمْ.

فَلَمَّا قَضَى «مُعَاوِيَةُ»، وَقَدْ أَخَذَ الْبَيْعَةَ لِابْنِهِ «يَزِيدَ» قَبْلَ مَوْتِهِ، رَفَضَ

«الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنْ يُبَايِعَ رَجُلًا فَاجِرًا مُتَهَتِّكًا، وَاعْتَصَمَ بِاللهِ، وَاسْتَعَاذَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَنَفَخَ فِي الْمُسْلِمِينَ صَيْحَةَ الْجِهَادِ، وَأَطْلَقَ فِيهِمْ نِدَاءَ الْحَقِّ، وَصَرَخَ فِي أَسْمَاعِهِمْ صَرْخَةَ الْإِيمَانِ، وَاسْتَعَانَ بِاللهِ، وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ، دَيْدَنُهُ وَصِرَاطُهُ وَقُدْوَتُهُ جَدُّهُ الْمُصْطَفَى خَيْرُ الْأَنَامِ.

وَكَانَتْ فَاجِعَةُ الْفَوَاجِعِ، وَنَكْبَةُ الْمُسْلِمِينَ، وَمَأْسَاةُ الدَّهْرِ، أَنْ قُتِلَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي كَرْبَلَاءَ.

وَكَانَ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ» مِمَّنْ بَايَعُوا «الْحُسَيْنَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الْكُوفَةِ؛ وَكَانَ مِمَّنْ يَدْعُو لِبَيْعَتِهِ، وَيَجْتَمِعُ إِلَى «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» عِنْدَمَا قَدِمَ الْكُوفَةَ، كَمَا كَانَ يَنْتَظِرُ بِفَارِغِ صَبْرٍ مَجِيءَ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمَّا انْفَضَّ النَّاسُ عَنْ «مُسْلِمٍ» بَعْدَ حُضُورِ «ابْنِ زِيَادٍ»، وَقَدْ قُتِلَ «مُسْلِمٌ»، بَكَى «عَبْدُ اللهِ» بُكَاءً حَارًّا، فَلَوْ قَدَرَ عَلَى الْقِتَالِ لَمَا تَأَخَّرَ، وَلَوِ اسْتَطَاعَ حِمَايَةَ «مُسْلِمٍ» لَمَا قَصَّرَ، وَلَكِنْ أَنَّى لَهُ ذَلِكَ وَقَدْ أَطْبَقَتْ عَيْنَاهُ عَلَى ظَلَامٍ دَامِسٍ، وَظُلْمٍ بَائِسٍ؟!!

***

كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُلَازِمُ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ فِي الْكُوفَةِ يَعْبُدُ فِيهِ رَبَّهُ، وَيَدْعُو فِيهِ خَالِقَهُ أَنْ يَحْفَظَ «الْحُسَيْنَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ.

وَبَيْنَمَا هُوَ فِي خُشُوعِ صَلَاتِهِ سَمِعَ الْمُنَادِيَ يَقُولُ: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ. فَلَمَّا انْتَهَى كَانَ الْمَسْجِدُ قَدِ اكْتَظَّ بِالنَّاسِ، وَصَعِدَ «ابْنُ زِيَادٍ» الْمِنْبَرَ، وَقَالَ:

- الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَظْهَرَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ، وَنَصَرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ» وَحِزْبَهُ، وَقَتَلَ الْكَذَّابَ ابْنَ الْكَذَّابِ «الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ» وَشِيعَتَهُ!!

نَزَلَ الْخَبَرُ عَلَى «عَبْدِ اللهِ بْنِ عَفِيفٍ» نُزُولَ الصَّاعِقَةِ. «الْحُسَيْنُ» قُتِلَ!!!

يَا لَلْخِيَانَةِ وَيَا لَلْغَدْرِ، يَا لَلْعَارِ الَّذِي جَلَّلَ الْمُسْلِمِينَ!! ابْنُ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) يُقْتَلُ!! وَبِأَيْدِي أُنَاسٍ يَدَّعُونَ الْإِسْلَامَ!! إِنَّهَا لَفَاجِعَةٌ لَا يَحْتَمِلُهَا قَلْبُ مُؤْمِنٍ، وَلَا يَسْكُتُ عَنْهَا لِسَانُ مُسْلِمٍ، فَالسَّاكِتُ عَنِ الْحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرَسُ.

وَلَمْ يَسْتَطِعْ «عَبْدُ اللهِ» أَنْ يَكْبَحَ جِمَاحَ غَضَبِهِ، أَوْ يُلْجِمَ لِسَانَهُ، فَوَقَفَ فِي وَسَطِ الْجُمُوعِ الْمُحْتَشِدَةِ، وَصَاحَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ الَّذِي خَنَقَتْهُ الْعَبَرَاتُ وَالدُّمُوعُ، فَقَالَ:

- يَا ابْنَ مُرْجَانَةَ... أَنْتَ الْكَذَّابُ ابْنُ الْكَذَّابِ، أَنْتَ وَأَبُوكَ وَالَّذِي وَلَّاكَ وَأَبُوهُ! يَا ابْنَ مُرْجَانَةَ... أَتَقْتُلُونَ أَبْنَاءَ النَّبِيِّينَ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِكَلَامِ الصِّدِّيقِينَ؟!

فَقَالَ «ابْنُ زِيَادٍ»:

- عَلَيَّ بِهِ...

فَأَرَادَ رِجَالُ «ابْنِ زِيَادٍ» وَشُرْطَتُهُ أَنْ يَقْبِضُوا عَلَى «عَبْدِ اللهِ بْنِ عَفِيفٍ» وَيُمْسِكُوهُ، إِلَّا أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِهِ وَفِتْيَةً مِنْ قَوْمِهِ أَحَاطُوا بِهِ، وَمَنَعُوهُ مِنْ رِجَالِ «ابْنِ زِيَادٍ».

أَدْرَكَ «ابْنُ زِيَادٍ» أَنَّ الْأَمْرَ سَيُؤَدِّي إِلَى ثَوْرَةٍ دَاخِلَ الْمَسْجِدِ؛ فَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ رِجَالٌ عَدِيدُونَ سَكَتُوا عَلَى الْجَرِيمَةِ الشَّنْعَاءِ خَوْفًا، ثُمَّ شَجَّعَتْهُمْ جُرْأَةُ «عَبْدِ اللهِ بْنِ عَفِيفٍ»، وَقَدْ يَرُدُّونَ عَلَى الْعُنْفِ بِالْعُنْفِ، بَعْدَ أَنْ أَزَاحَ عَنْهُمْ «عَبْدُ اللهِ» كَابُوسَ الْجَزَعِ، وَرَفَعَ عَنْ أَعْيُنِهِمْ غِشَاوَةَ الرَّهْبَةِ.

فَسَكَتَ عَلَى مَضَضٍ، وَخَرَجَ «عَبْدُ اللهِ» مِنَ الْمَسْجِدِ مُحَاطًا بِأَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَظَلَّتْ كَلِمَةُ «عَبْدِ اللهِ»، تُرَاوِدُ مَسْمَعَ «ابْنِ زِيَادٍ» فَتُثِيرُهُ، فَلَمَّا جَنَّ اللَّيْلُ وَأَرْخَى سُدُولَهُ، أَرْسَلَ بَعْضَ رِجَالِهِ إِلَى بَيْتِ «عَبْدِ اللهِ» لِيَأْتُوا بِهِ.

انْطَلَقَ الْجُنْدُ حَتَّى بَلَغُوا دَارَ «عَبْدِ اللهِ»، فَأَحَاطُوا بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَسَدُّوا مَنَافِذَهَا، فَلَمَّا سَمِعَتِ ابْنَتُهُ صَهِيلَ الْخَيْلِ قَالَتْ:

- يَا أَبَتَاهُ.. إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ هَجَمُوا عَلَيْكَ.

تُرَى مَاذَا يَفْعَلُ رَجُلٌ فَقَدَ الْبَصَرَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْقِفِ، وَفِي مِثْلِ ذَلِكَ

الْحَــالِ؟! وَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُقَاتِلَ إِذَا أَرَادَ الْقِتَالَ؟ لَا بُدَّ مِنَ الِاسْتِسْــلَامِ إِذْ عَزَّ النَّصْرُ!

قَدْ يَنْطَبِقُ هَذَا عَلَى رَجُلٍ آخَرَ غَيْــرِ «عَبْدِ اللهِ»... فَـ «عَبْدُ اللهِ» الَّذِي مَا وَقَعَ السَّــيْفُ مِنْ يَدِهِ، وَلَا رَمَى بِالرُّمْحِ جَانِبًا، وَلَا اعْتَزَلَ رُكُوبَ الْخَيْلِ، إِلَّا بَعْــدَ أَنْ فَقَدَ نُورَ الْعَيْنِ وَضِيَاءَ النَّظَرِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَمْشِــيَ إِلَى الْمَوْتِ طَائِعًا ذَلِيلًا.

فَقَالَ لِابْنَتِهِ:

- يَا بُنَيَّتِي نَاوِلِينِي سَــيْفِي، وَقِفِي فِي مَكَانِكِ، وَلَكِنْ قُولِي لِي: الْقَوْمُ عَنْ يَمِينِكَ أَوْ شِمَالِكَ أَوْ خَلْفَكَ أَوْ أَمَامَكَ.

ثُمَّ وَقَفَ لَهُمْ فِي مَضِيقٍ، وَجَعَلَ يَضْرِبُ يَمِينًا وَشِمَالًا.

وَلَقَدْ شَــهِدَتْ أَرْضُ الْكُوفَةِ وَبَيْتُ «عَبْدِ اللهِ بْنِ عَفِيفٍ» أَغْرَبَ قِتَالٍ وَأَنْبَلَهُ وَأَشْرَفَهُ عَلَى ظَهْرِ الْبَسِيطَةِ، وَعَبْرَ التَّارِيخِ.

وَبَعْدَ لَأْيٍ وَمَشَــقَّةٍ تَكَاثَرُوا عَلَيْهِ وَأَحَاطُوا بِهِ، وَاسْــتَلَبُوا سِــلَاحَهُ، وَأَخَذُوهُ أَسِيرًا إِلَى «ابْنِ زِيَادٍ»، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لِـ «عَبْدِ اللهِ»:

- الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَعْمَى عَيْنَيْكَ.

فَقَالَ لَهُ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ»:

- الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَعْمَى قَلْبَكَ.

فَقَالَ «ابْنُ زِيَادٍ» وَهُوَ يَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ:

- قَتَلَنِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ شَرَّ قِتْلَةٍ.

فَقَالَ «عَبْدُ اللهِ» وَاثِقًا مُطْمَئِنًّا رَاضِيًا بِالشَّهَادَةِ:

- لَقَدْ ذَهَبَتْ عَيْنَايَ يَوْمَ (الْجَمَلِ) وَيَــوْمَ (صِفِّينَ) مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ سَــأَلْتُ اللهَ ـ تَعَالَى ـ أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ عَلَى يَدِ أَشَرِّ النَّاسِ، وَمَا عَلِمْتُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَشَرُّ مِنْكَ.

ثُمَّ قُتِلَ «عَبْدُ اللهِ بْنُ عَفِيفٍ» وَصُلِــبَ، وَصَعِدَتِ الرُّوحُ الطَّاهِرَةُ إِلَى عِلِّيِّينَ، تَشْكُو الظُّلْمَ وَالنِّفَاقَ.

رَحِمَ اللهُ «عَبْدَ اللهِ بْنَ عَفِيفٍ» مُؤْمِنًا مِنَ الصَّادِقِينَ، وَمُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ، وَشَهِيدًا فِي الصَّالِحِينَ.

***

زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ

لِقَاءٌ

انْقَضَى مَوْسِمُ الْحَجِّ، وَعَادَ الْحَاجُّونَ إِلَى دِيَارِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَكَانَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَتَسَلَّمُ رَسَائِلَ أَهْلِ الْكُوفَةِ رِسَالَةً تِلْوَ رِسَالَةٍ، وَيَسْتَقْبِلُ وُفُودَهُمْ وَفْدًا بَعْدَ وَفْدٍ، وَكُلُّهُمْ يَدْعُوهُ إِلَيْهَا، فَأَذْعَنَ لِرَغْبَةِ الرَّاغِبِينَ، وَدَعْوَةِ الدَّاعِينَ، وَتَجَهَّزَ لِلرَّحِيلِ، ثُمَّ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ إِلَى كَرْبَلَاءَ...

وَفِي الطَّرِيقِ لَقِيَهُ «زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ الْبَجَلِيُّ»، وَكَانَ «زُهَيْرٌ» مِمَّنْ لَا يَدْرُونَ مِنْ أَمْرِ مَسِيرِ «الْحُسَيْنِ» شَيْئًا، وَلَمْ يَكُنْ حَتَّى ذَلِكَ الْحِينِ قَدْ وَقَعَ تَحْتَ تَأْثِيرِ طَائِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ، أَوْ مَالَ إِلَى فَرِيقٍ.

لَقِيَ «الْحُسَيْنَ» فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَسَأَلَهُ مُسْتَفْسِرًا عَنْ وِجْهَتِهِ وَأَمْرِهِ، فَأَخْبَرَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِبُغْيَتِهِ وَمُرَادِهِ، وَمَا أَسْرَعَ مَا انْضَمَّ «زُهَيْرٌ» إِلَى الرَّكْبِ، مُغِذًّا السَّيْرَ إِلَى... الشَّهَادَةِ! ... وَلِذَلِكَ قِصَّةٌ...

رَوَى الرَّاوِي فَقَالَ:

كُنَّا مَعَ «زُهَيْرِ بْنِ الْقَيْنِ الْبَجَلِيِّ» حِينَ أَقْبَلْنَا مِنْ مَكَّةَ نُسَايِرُ «الْحُسَيْنَ»، فَلَمْ يَكُنْ شَـــيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نُسَايِرَهُ فِي مَنْزِلٍ، فَإِذَا سَارَ «الْحُسَيْنُ» تَخَلَّفَ «زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ»، وَإِذَا نَزَلَ «الْحُسَيْنُ» تَقَدَّمَ «زُهَيْرٌ»، حَتَّى نَزَلْنَا يَوْمَئِذٍ فِي مَنْزِلٍ لَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنْ أَنْ نُنَازِلَهُ فِيهِ، فَنَزَلَ «الْحُسَيْنُ» فِي جَانِبٍ، وَنَزَلْنَا فِي جَانِبٍ، فَبَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ نَتَغَدَّى مِنْ طَعَامٍ لَنَا، إِذْ أَقْبَلَ رَسُولُ «الْحُسَيْنِ» حَتَّى سَلَّمَ، ثُمَّ دَخَلَ فَقَالَ:

ـ يَا «زُهَيْرُ بْنَ الْقَيْنِ»؛ إِنَّ أَبَا عَبْدِ اللهِ «الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ» بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِتَأْتِيَهُ.

فَطَرَحَ كُلُّ إِنْسَانٍ مَا فِي يَدِهِ حَتَّى كَأَنَّنَا عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرَ. فَقَالَتِ امْرَأَةُ «زُهَيْرٍ» لَهُ:

ـ أَيَبْعَثُ إِلَيْكَ ابْنُ رَسُولِ اللهِ ثُمَّ لَا تَأْتِيهِ؟! سُبْحَانَ اللهِ! لَوْ أَتَيْتَهُ فَسَمِعْتَ مِنْ كَلَامِهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتَ.

فَاسْتَحَابَ «زُهَيْرٌ» فَأَتَى «الْحُسَـــيْنَ»، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ عَادَ مُسْتَبْشِرًا قَدْ أَسْفَرَ وَجْهُهُ، فَأَمَرَ بِفُسْطَاطِهِ وَثِقْلِهِ وَمَتَاعِهِ فَقُدِّمَ وَحُمِلَ إِلَى «الْحُسَيْنِ»، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى امْرَأَتِهِ وَقَالَ لَهَا:

ـ إِنِّـــي لَا أُحِبُّ أَنْ يُصِيبَكِ مِنْ سَـــبَبِي إِلَّا خَيْرٌ، الْحَقِـــي بِأَهْلِكِ فَأَنْتِ طَالِقٌ!

ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَعَهُ:

- مَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّبِعَنِي، وَإِلَّا فَإِنَّهُ آخِرُ الْعَهْدِ، إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا: «غَزَوْنَا «بَلَنْجَرَةَ» فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا وَأَصَبْنَا غَنَائِمَ، فَقَالَ لَنَا «سُلَيْمَانُ الْبَاهِلِيُّ»:

- أَفَرِحْتُمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَأَصَبْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ؟

فَقُلْنَا:

- نَعَمْ.

فَقَالَ لنا:

- إِذَا أَدْرَكْتُمْ شَبَابَ آلِ مُحَمَّدٍ فَكُونُوا أَشَدَّ فَرَحًا بِقِتَالِكُمْ مَعَهُمْ مِنْكُمْ بِمَا أَصَبْتُمْ مِنَ الْغَنَائِمِ».

فَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ...

خَبَرُ مَقْتَلِ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ»

وَفِي الطَّرِيقِ بَلَغَ «الْحُسَيْنَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اسْتِشْهَادُ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» وَ«عُرْوَةَ بْنِ هَانِئٍ» عَلَى يَدِ جَلَّادِ بَنِي أُمَيَّةَ «عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ»، فَقَالَ:

- إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا وَلَهُمُ الْجَنَّةَ نُزُلًا، وَاجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فِي مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِكَ وَرَغَائِبِ مَذْخُورِ ثَوَابِكَ.

وَقَالَ «بَنُو عَقِيلٍ»:

ـ وَاللهِ لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُدْرِكَ ثَأْرَنَا، أَوْ نَذُوقَ مَا ذَاقَ أَخُونَا.

وَقَالَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ـ لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ.

ثُمَّ قَالَ لِغِلْمَانِهِ وَفِتْيَانِهِ:

ـ أَكْثِرُوا مِنَ الْمَاءِ.

فَاسْتَقَوْا وَأَكْثَرُوا، ثُمَّ ارْتَحَلُوا حَتَّى الْتَقَوْا بِـ «الْحُرِّ بْنِ يَزِيدَ التَّمِيمِيِّ» عَلَى رَأْسِ أَلْفٍ مِنْ جُنُودِ «ابْنِ زِيَادٍ» طَلِيعَةً لِجَيْشِ «الْحُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرٍ».

وَأَخَذَ «الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ» يُسَايِرُ «الْحُسَيْنَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَيُحَادِثُهُ، وَيُنَاقِشُهُ فِي مَجِيئِهِ إِلَى الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَحْدُثْ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ قِتَالٌ أَبَدًا.

«زُهَيْرٌ» الشُّجَاعُ الثَّابِتُ

ثُمَّ إِنَّ «الْحُسَيْنَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَارَحَ الْقَوْمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ بِمَا هُمْ مُقْدِمُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْهُمْ أَنْ يَعُودَ مِنْ حَيْثُ أَتَى فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَرَادَ الْمُتَابَعَةَ، فَإِنَّ الْأَمْرَ جَلَلٌ.

فَقَامَ «زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ» وَقَالَ ـ بَعْدَ حَمْدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ـ:

ـ قَدْ سَمِعْنَا هَدَاكَ اللهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ مَقَالَتَكَ، وَاللهِ لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَنَا

بَاقِيَةً وَكُنَّا فِيهَا مُخَلَّدِينَ، إِلَّا أَنَّ فِرَاقَهَا فِي نَصْرِكَ وَمُوَاسَاتِكَ، لَآثَرْنَا الْخُرُوجَ مَعَكَ عَلَى الْإِقَامَةِ فِيهَا!

فَدَعَا لَهُ «الْحُسَيْنُ» بِخَيْرٍ.

النَّاصِحُ الْمُخْلِصُ

وَمَا زَالَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَسِيرُ بِأَصْحَابِهِ مَعَ جُنْدِهِ مُتَحَاذِينَ، حَتَّى أَتَى «الْحُرَّ» ـ رَسُولُ «ابْنِ زِيَادٍ» ـ يَأْمُرُهُ بِأَنْ يُجَعْجِعَ بِـ «الْحُسَيْنِ» وَأَصْحَابِهِ، وَأَنْ لَا يُمَكِّنَهُمْ مِنَ الِاتِّجَاهِ إِلَى الْكُوفَةِ، أَوِ الِارْتِدَادِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَأَنْ يُبْعِدَ بِهِمْ عَنْ مَوَاطِنِ الْمَاءِ وَالْغِذَاءِ.

فَقَامَ «زُهَيْرٌ» إِلَى «الْحُسَيْنِ» نَاصِحًا وَقَالَ:

ـ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ إِنَّ قِتَالَ هَؤُلَاءِ أَهْوَنُ مِنْ قِتَالِ مَنْ يَأْتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ، فَلَعَمْرِي لَيَأْتِينَا مِنْ بَعْدِ مَنْ تَرَى مَا لَا قِبَلَ لَنَا بِهِ.

فَأَجَابَهُ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ـ مَا كُنْتُ لِأَبْدَأَهُمْ بِقِتَالٍ.

فَقَالَ «زُهَيْرٌ»:

ـ إِذَنْ سِرْ بِنَا إِلَى هَذِهِ الْقَرْيَةِ حَتَّى تَنْزِلَهَا؛ فَإِنَّهَا حَصِينَةٌ، وَهِيَ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ، فَإِنْ مَنَعُونَا قَاتَلْنَاهُمْ.

فَقَالَ «الْحُسَيْنُ»:

- وَأَيَّةُ قَرْيَةٌ هِيَ؟

فَقَالَ «زُهَيْرٌ»:

- الْعَقْرُ.

فَقَالَ «الْحُسَيْنُ»:

- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَقْرِ...

ثُمَّ نَزَلَ.

وُصُولُ «ابْنِ سَعْدٍ»

ثُمَّ وَصَلَ جَيْشُ «عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ»، وَكَانَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ بَلَغَ كَرْبَلَاءَ، فَقَامَ «عَمْرُو بْنُ الْحَجَّاجِ» عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ مِنْ جَيْشِ «ابْنِ سَعْدٍ» حَاجِزًا بَيْنَ «الْحُسَيْنِ» وَأَصْحَابِهِ وَبَيْنَ الْمَاءِ؛ كَيْ يُجْهِدَهُمُ الْعَطَشُ وَيَقْتُلَهُمُ الظَّمَأُ.

وَجَرَى حِوَارٌ كَثِيرٌ بَيْنَ «عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ» وَبَيْنَ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَرْسَلَ «ابْنُ سَعْدٍ» كِتَابًا إِلَى «ابْنِ زِيَادٍ» ضَمَّنَهُ رَأْيَهُ فِي الْمَوْقِفِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ «ابْنُ زِيَادٍ» يَأْمُرُهُ بِقِتَالِ «الْحُسَيْنِ» دُونَ إِبْطَاءٍ، أَوِ الْإِتْيَانِ بِهِ إِلَى الْكُوفَةِ مُسْتَسْلِمًا، وَوَلَّى عَلَى الْجُنْدِ «شَمِرَ بْنَ ذِي الْجَوْشَنِ» بَدَلًا مِنِ «ابْنِ سَعْدٍ» إِنْ آثَرَ الْمُسَالَمَةَ.

نَذِيرُ الشُّؤْمِ

وَصَلَ «شَمِرٌ»، وَدَفَعَ الْكِتَابَ إِلَى «ابْنِ سَعْدٍ» فَقَرَأَهُ، فَخَضَعَ عَلَى الفَوْرِ طَائِعًا لِأَمْرِ «ابْنِ زِيَادٍ» وَصَاحَ فِي النَّاسِ:

- يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي.

وَاتَّجَهَ بِجَيْشِهِ نَحْوَ مُعَسْكَرِ «الْحُسَيْنِ»، فَخَرَجَ «حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ» وَ«زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ» فِي عِشْرِينَ فَارِسًا يَتَلَقَّوْنَ الْهُجُومَ، وَكَانَ الْوَقْتُ مَسَاءً، فَلَمَّا دَنَوْا مِنْ بَعْضِهِمْ تَوَقَّفُوا، وَكَلَّمَهُمْ «حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ» نَاصِحًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ جَيْشِ «ابْنِ سَعْدٍ» اسْمُهُ «عَزْرَةُ بْنُ قَيْسٍ»:

- إِنَّكَ لَتُزَكِّي نَفْسَكَ مَا اسْتَطَعْتَ.

فَرَدَّ عَلَيْهِ «زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ»:

- يَا «عَزْرَةُ» إِنَّ اللهَ قَدْ زَكَّاهَا وَهَدَاهَا، فَاتَّقِ اللهَ يَا «عَزْرَةُ» فَإِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ، أَنْشُدُكَ اللهَ يَا «عَزْرَةُ» أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يُعِينُ الضُّلَّالَ عَلَى قَتْلِ النُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ.

فَقَالَ لَهُ «عَزْرَةُ»:

- مَا كُنْتَ عِنْدَنَا مِنْ شِيعَةِ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ، إِنَّمَا كُنْتَ عُثْمَانِيًّا.

فَأَجَابَهُ «زُهَيْرٌ»:

- أَفَلَسْتَ تَسْتَدِلُّ بِمَوْقِفِي هَذَا أَنِّي مِنْهُمْ؟! أَمَا وَاللهِ مَا كَتَبْتُ إِلَيْهِ كِتَابًا

قَطُّ، وَلَا أَرْسَلْتُ إِلَيْهِ رَسُولًا قَطُّ، وَلَا وَعَدْتُهُ نُصْرَتِي قَطُّ، وَلَكِنَّ الطَّرِيقَ جَمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ ذَكَرْتُ بِهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَكَانَهُ مِنْهُ، وَعَرَفْتُ مَا يُقْدِمُ عَلَيْهِ مِنْ عَدُوِّهِ وَحِزْبِكُمْ، فَرَأَيْتُ أَنْ أَنْصُرَهُ، وَأَنْ أَكُونَ فِي حِزْبِهِ، وَأَنْ أَجْعَلَ نَفْسِيَ دُونَ نَفْسِهِ؛ حِفْظًا لِمَا ضَيَّعْتُمْ مِنْ حَقِّ اللهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ تَحَاجَزُوا بِسَبَبِ الظَّلَامِ بِنَاءً عَلَى طَلَبِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ رَغْبَةً مِنْهُ فِي الِاسْتِزَادَةِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغْفَارِ.

وَأَعَادَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَقْيِيمَ الْمَوْقِفِ مُجَدَّدًا مَعَ أَصْحَابِهِ، لَعَلَّ بَعْضَهُمْ يَوَدُّ أَنْ يَلْحَقَ بِأَهْلِهِ، فَكَانَ مِمَّا قَالَهُ «زُهَيْرٌ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي قُتِلْتُ ثُمَّ نُشِرْتُ ثُمَّ قُتِلْتُ حَتَّى أُقْتَلَ كَذَا أَلْفَ قَتْلَةٍ، وَأَنَّ اللهَ يَدْفَعُ بِذَلِكَ الْقَتْلِ عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ أَنْفُسِ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ!

الْمَلْحَمَةُ

وَقَضَى «الْحُسَيْنُ» وَأَصْحَابُهُ لَيْلَهُمْ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، فَلَمَّا انْبَلَجَ الْفَجْرُ، عَبَّأَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جُنْدَهُ، وَكَانُوا اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ فَارِسًا وَأَرْبَعِينَ رَاجِلًا، فَجَعَلَ «زُهَيْرَ بْنَ الْقَيْنِ» عَلَى الْمَيْمَنَةِ،

وَ«حَبِيبَ بْنَ مُظَاهِرٍ» عَلَى الْمَيْسَـــرَةِ، وَأَعْطَـــى الرَّايَةَ لِأَخِيهِ «الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِينَ.

وَكَذَلِكَ اسْتَعَدَّ «ابْنُ سَعْدٍ» فَعَبَّأَ جَيْشَهُ.

وَأَخَذَ الْفُرْسَانُ يَتَصَاوَلُونَ وَيَتَجَاوَلُونَ، فَقُتِلَ مِنْ صُفُوفِ «ابْنِ سَعْدٍ» بَعْضُ جُنْدِهِ، وَخَسِـــرَ فِئَةً مِنْ فُرْسَـــانِهِ، وَنَصَحَهُ وَاحِدٌ مِمَّا كَانُوا مَعَهُ أَنْ يَكُفَّ عَـــنِ الْمُبَارَزَةِ؛ فَإِنَّ فِي صُفُوفِ «الْحُسَـــيْنِ» أَفْـــذَاذًا لَا يُقَاوَمُونَ، وَأَبْطَالًا مُسْـــتَمِيتِينَ، وَشُـــجْعَانًا لَا يَرْهَبُونَ، فَالْأَوْلَى أَنْ نُفَوِّتَ الْفُرْصَةَ وَنَلْتَحِمَ بِهِمْ، فَإِنَّنَا لَوْ رَضَخْنَاهُمْ بِالْحِجَارَةِ لَقَتَلْنَاهُمْ.

فَأَدْرَكَ «ابْنُ سَعْدٍ» صِحَّةَ الرَّأْيِ وَأَمَرَ جُنْدَهُ بِالزَّحْفِ نَحْوَ «الْحُسَيْنِ» وَصَحْبِهِ، فَتَلَقَّاهُمْ «زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ» عَلَى فَرَسٍ لَهُ شَاكٍ فِي السِّلَاحِ وَنَادَاهُمْ:

- يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ

فَتَوَقَّفُوا مُنْصِتِينَ، فَتَابَعَ قَائِلًا:

- نَـــذَارِ لَكُمْ مِنْ عَـــذَابِ اللهِ نَذَارِ، إِنَّ حَقًّا عَلَى الْمُسْـــلِمِ نَصِيحَةُ أَخِيهِ الْمُسْـــلِمِ، وَنَحْنُ حَتَّى الْآنَ إِخْوَةٌ، وَعَلَى دِينٍ وَاحِـــدٍ، وَمِلَّةٍ وَاحِدَةٍ، مَا لَمْ يَقَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ السَّـــيْفُ، وَأَنْتُمْ لِلنَّصِيحَـــةِ مِنَّا أَهْلٌ، فَإِذَا وَقَعَ السَّيْفُ انْقَطَعَتِ الْعِصْمَةُ، وَكُنَّا أُمَّةً وَأَنْتُمْ أُمَّةٌ. إِنَّ اللهَ قَدِ ابْتَلَانَا وَإِيَّاكُمْ بِذُرِّيَّةِ نَبِيِّهِ «مُحَمَّدٍ» (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَـــلَّمَ) لِيَنْظُرَ مَا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَامِلُونَ. إِنَّا نَدْعُوكُمْ إِلَى نَصْرِهِمْ وَخِذْلَانِ الطَّاغِيَةِ «عُبَيْدِ اللهِ بْنِ زِيَادٍ»

فَإِنَّكُمْ لَا تُدْرِكُونَ مِنْهُمَا إِلَّا بِسُــوءِ عُمْرٍ سُــلْطَانِهِمَا كُلِّهِ، لَيَسْمُلَانِّ أَعْيُنَكُمْ، وَيُقَطِّعَانِّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ، وَيُمَثِّلَانِّ بِكُمْ، وَيَرْفَعَانِكُمْ عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ، وَيَقْتُلَانِ أَمَاثِلَكُــمْ وَقُرَّاءَكُمْ، أَمْثَالَ «حِجْرِ بْنِ عَدِيٍّ» وَأَصْحَابِهِ، وَ«هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ» وَأَشْبَاهِهِ.

لَكِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَمِعُونَ سَــبُّوا «زُهَيْرَ بْنَ الْقَيْنِ» وَشَتَمُوهُ! وَرَمَاهُ «شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ» بِسَهْمٍ، وَقَالَ لَهُ:

- اسْكُتْ.. أَسْكَتَ اللهُ نَأْمَتَكَ. أَبَرَمْتَنَا بِكَثْرَةِ كَلَامِكَ.

فَرَدَّ عَلَيْهِ «زُهَيْرٌ» قَائِلًا:

- يَا ابْنَ الْبَوَّالِ عَلَى عَقِبَيْهِ.. مَا إِيَّــاكَ أُخَاطِبُ، إِنَّمَا أَنْتَ بَهِيمَةٌ، وَاللهِ مَا أَظُنُّكَ تُحْكِمُ مِنْ كِتَابِ اللهِ آيَتَيْنِ، فَأَبْشِرْ بِالْخِزْيِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

فَقَالَ لَهُ «شَمِرٌ»:

- إِنَّ اللهَ قَاتِلُكَ وَصَاحِبَكَ عَنْ سَاعَةٍ.

فَقَالَ «زُهَيْرٌ»:

- أَفَبِالْمَوْتِ تُخَوِّفُنِي؟! فَوَاللهِ لَلْمَوْتُ مَعَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْخُلْدِ مَعَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِـ «زُهَيْرٍ»:

- أَقْبِلْ، فَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ نَصَحَ لِقَوْمِهِ وَأَبْلَغَ فِي الدُّعَاءِ، لَقَدْ نَصَحْتَ لِهَؤُلَاءِ وَأَبْلَغْتَ لَوْ نَفَعَ النُّصْحُ وَالْإِبْلَاغُ.

صَرْخَةُ الدِّمَاءِ

ثُـــمَّ إِنَّ «الْحُرَّ بْنَ يَزِيدَ التَّمِيمِيَّ» لَمَّا رَأَى الْقَـــوْمَ قَدْ أَزْمَعُوا عَلَى قِتَالِ «الْحُسَيْنِ» وَتَنَكَّرُوا للهِ وَرَسُولِهِ، انْحَازَ إِلَى صُفُوفِ «الْحُسَيْنِ» تَائِبًا مُنِيبًا مُسْتَغْفِرًا، وَقَاتَلَ مَعَهُ.

وَكَثُرَ الْقَتْلُ فِي أَصْحَابِ «الْحُسَـــيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَتَتَابَعَ الشُّهَدَاءُ وَاحِدًا إِثْرَ وَاحِدٍ، وَنَزَفَتِ الدِّمَاءُ، وَتَبَعْثَرَتِ الْأَشْلَاءُ، وَزُهِقَتِ الْأَرْوَاحُ.

فَلَمَّا قُتِلَ «حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ»، هَدَّ ذَلِكَ «حُسَيْنًا»، وَقَالَ:

ـ أَحْتَسِبُ نَفْسِي وَحُمَاةَ أَصْحَابِي.

وَقَاتَلَ «الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ» وَ«زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ» قِتَالًا شَـــدِيدًا، فَكَانَ إِذَا شَدَّ أَحَدُهُمَا، فَإِنِ اسْتُلْحِمَ وَرُوهِقَ فِي الْقِتَالِ، شَدَّ الْآخَرُ حَتَّى يُخَلِّصَهُ، فَفَعَلَا ذَلِكَ سَـــاعَةً، ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنْ جَيْشِ «ابْنِ سَعْدٍ» شَدَّتْ عَلَى « الْحُرِّ بْنِ يَزِيدَ» فَقُتِلَ، وَكَانَ الْوَقْتُ قَدْ صَارَ ظُهْرًا، فَصَلَّى بِهِمُ «الْحُسَـــيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَلَاةَ الْخَوْفِ، وَلَمَّا انْقَضَتِ الصَّلَاةُ، حَمَلَ الْأَعْدَاءُ عَلَى الْإِمَامِ، وَشَدَّدُوا عَلَيْهِ الْحَمْلَةَ، فَاتَّقَاهُ أَحَدُ إِخْوَانِهِ، فَاسْتُهْدِفَ لَهُمْ يَرْمُونَهُ بِالنَّبْلِ يَمِينًا وَشِمَالًا وَهُوَ قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيِ «الْحُسَيْنُ» حَتَّى سَقَطَ.

وَمَا زَالَ «زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ» يَصُولُ فِي الْمَيْدَانِ يَضْرِبُ وَيَطْعَنُ وَيَرْتَجِزُ:

أَنَـــا زُهَـيْـرٌ وَأَنَـا ابْـــنُ الْقَـيْنِ

أَذُودُهُـــمْ بِالسَّـيْفِ عَـــنْ حُسَيْنِ

فَشَدَّ عَلَيْهِ اثْنَانِ مِنْ جَيْشِ «ابْنِ سَعْدٍ» هُمَا «كُثَيِّرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الشَّعْبِيُّ» وَ«مُهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ»، فَأَثْخَنَاهُ بِالْجِرَاحِ حَتَّى سَقَطَ صَرِيعًا.

وَخَرَجَ الْبَطَلُ شَـهِيدَ الْإِيمَانِ، وَصَعِدَتْ رُوحُـهُ إِلَى الْمَلِكِ الدَّيَّانِ، وَخُطَّ فِي لَوْحِ الزَّمَانِ بِأَحْرُفٍ مِنْ نُورٍ وَرَيْحَانٍ:

فَـوْقَ ثَرَى «كَرْبَلَاءَ» ثَـوَى «زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ» دِفَاعًا عَنِ «الْحُسَـيْنِ» السِّبْطِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رَاضِيًا مَرْضِيًّا، لَا مُسْتَأْجَرًا وَلَا دَعِيًّا.

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَجْزَلَ لَهُ الثَّوَابَ وَحُسْنَ الْجَزَاءِ.

❊❊❊

بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ ﴾.

***

عَنْ أَبِي النَّضْرِ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: إِنَّ رَسُــولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَــلَّمَ فِي بَعْضِ أَيَّامِه الَّتِي لَقِيَ فِيهَــا الْعَدُوَّ انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، فَقَامَ فِيهِمْ فَقَالَ:

- يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، وَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ.

ثُمَّ قَالَ:

- اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّــحَابِ وَهَــازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِم.

❊❊❊

وَكَانَ «بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ» يُرَدِّدُ مُنْشِدًا يَوْمَ كَرْبَلَاءَ:

أَنَــــا «بُـرَيْـــرٌ» وَأَبِي «حُضَـــيْر»

لَا خَـــيْرَ فِيمَـــنْ لَيْـــسَ فِيهِ خَـيْر

❊❊❊

تَوْطِئَةٌ

لَيْسَتِ الْفِئَةُ الَّتِي وَقَفَتْ مَعَ الْحَقِّ يَوْمَ «كَرْبَلَاءَ» تَذُودُ عَنِ السِّبْطِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَتَرْفَعُ لِوَاءَهُ، وَتَسْتَمِيتُ دُونَهُ، فِئَةً مَغْمُورَةً؛ إِذْ كَانُوا جَمِيعًا مِنَ الْمَشْهُورِينَ الْمَعْرُوفِينَ... أَعْلَامٌ فِي أَقْوَامِهِمْ، أَفْذَاذٌ فِي عَشَائِرِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ، وَبَعْضُهُمْ كَانَ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ «صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، وَالْبَعْضُ الْآخَرُ كَانَ مِنَ التَّابِعِينَ، وَجُلُّهُمْ كَانَ عَلَى ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الْإِسْلَامِ سَوَاءٌ فِي مَيْدَانِ الْعِلْمِ أَوْ فِي مَيْدَانِ السَّيْفِ.

وَهَذَا «بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.. الْقَارِئُ الْعَابِدُ الَّذِي كَانَ يَعْرِفُهُ الْقَاصِي وَالدَّانِي تَالِيًا لِلْقُرْآنِ فِي مَسْجِدِ الْكُوفَةِ مُعَلِّمًا لِأُصُولِهِ وَأَحْكَامِهِ، يَسْتَجِيبُ لِمَبَادِئِ الْحَقِّ، فَيَحْمِلُ السَّيْفَ دِفَاعًا عَنْهَا، وَيَخُوضُ مَيْدَانَ «كَرْبَلَاءَ»...

❊❊❊

حِينَ وَصَلَ إِلَى الْكُوفَةِ نَبَأُ مَوْتِ «مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ»، اجْتَمَعَ بَعْضُ قَادَةِ الرَّأْيِ وَالْأَعْيَانِ فِيهَا؛ لِيَتَدَاوَلُوا الْأَمْرَ، وَكَانَ اجْتِمَاعُهُمْ فِي دَارِ الصَّحَابِيِّ الْكَرِيمِ «سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ»، وَفِي دَارِ «هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ» تَارَةً أُخْرَى.

وَلَمْ يَكُنْ «بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيَغِيبَ عَنْ تِلْكَ الِاجْتِمَاعَاتِ، بَلْ شَهِدَهَا جَمِيعَهَا.

وَحِينَ قَرَّ رَأْيُ الْمُجْتَمِعِينَ عَلَى إِنْكَارِ بَيْعَةِ «يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ»، وَتَفْوِيضِ الْأَمْرِ إِلَى «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كَتَبُوا إِلَيْهِ مُبَايِعِينَ وَمُسْتَدْعِينَ.

وَكَانَ «بُرَيْرٌ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَكْثَرِهِمْ حَمَاسَةً وَتَجَاوُبًا، وَلَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْأَمْرُ أَنْ تَوَلَّى بِنَفْسِهِ حَمْلَ بَعْضِ تِلْكَ الرَّسَائِلِ إِلَى مَكَّةَ، وَالِالْتِحَاقَ بِالْإِمَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَبِهَذَا يَكُونُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ رَافَقَ «أَبَا عَبْدِ اللهِ» مُنْذُ بِدَايَةِ رِحْلَةِ الْكِفَاحِ، وَزَامَلَهُ فِي مَوْكِبِ الْجِهَادِ، وَقَاتَلَ دُونَهُ فِي يَوْمِ الْوَفَاءِ، وَاسْتُشْهِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَلَبًا لِرِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى.

حَدِيثُ لَيْلَةِ الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ كَعْبٍ عَنْ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، قَالَ:

- إِنِّي جَالِسٌ فِي تِلْكَ الْعَشِيَّةِ الَّتِي قُتِلَ أَبِي صَبِيحَتَهَا، وَعَمَّتِي «زَيْنَبُ» عِنْدِي تُمَرِّضُنِي، إِذِ اعْتَزَلَ أَبِي بِأَصْحَابِهِ فِي خِبَاءٍ لَهُ، وَعِنْدَهُ «جَوْنٌ» مَوْلَى «أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ يُعَالِجُ سَيْفَهُ وَيُصْلِحُهُ،

وَأَبِي يَقُولُ:

يَـا دَهْـــرُ أُفٍّ لَكَ مِـــنْ خَـلِيلِ
كَـــمْ لَكَ بِالْإِشْـــرَاقِ وَالْأَصِيلِ
مِـنْ صَـــاحِبٍ أَوْ طَـــالِبٍ قَتِيـلِ
وَالدَّهْـــرُ لَا يَقْـنَـــعُ بِالْبَـدِيـلِ
وَإِنَّمَـــا الْأَمْـــرُ إِلَى الْجَـــلِيلِ
وَكُـــلُّ حَيٍّ سَـــالِكُ السَّـــبِيلِ

فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْـنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّـى فَهِمْتُهَا، فَعَرَفْتُ مَـا أَرَادَ، فَخَنَقَتْنِي عَبْرَتِي، فَرَدَدْتُ دَمْعِي وَلَزِمْتُ السُّكُونَ، فَعَلِمْتُ أَنَّ الْبَلَاءَ قَدْ نَزَلَ، فَأَمَّا عَمَّتِي فَإِنَّهَا سَمِعَتْ مَا سَـمِعْتُ وَهِيَ امْرَأَةٌ، وَفِي النِّسَاءِ الرِّقَّةُ وَالْجَزَعُ، فَلَمْ تَمْلِكْ نَفْسَـهَا أَنْ وَثَبَتْ تَجُرُّ ثَوْبَهَا، وَإِنَّهَا لَحَاسِرَةٌ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ:

- وَاثُكْلَاهُ!! لَيْتَ الْمَوْتَ أَعْدَمَنِي الْحَيَـاةَ، الْيَوْمَ مَاتَتْ «فَاطِمَةُ» أُمِّي، وَ«عَلِيٌّ» أَبِي، وَ«حَسَنٌ» أَخِي، يَا خَلِيفَةَ الْمَاضِي، وَثِمَالَ الْبَاقِي.

فَنَظَرَ إِلَيْهَا «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ:

- يَا أُخَيَّةُ، لَا يُذْهِبَنَّ حِلْمَكِ الشَّيْطَانُ.

فَقَالَتْ:

- بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا «أَبَا عَبْدِ اللهِ»، اسْتَقْتَلْتَ!! نَفْسِي فِدَاكَ.

فَرَدَّ غُصَّتَهُ، وَتَرَقْرَقَتْ عَيْنَاهُ، وَقَالَ:

- لَوْ تُرِكَ الْقَطَا لَيْلًا لَنَامَ...

قَالَتْ:

- يَا وَيْلَتِي!!! أَفَتُغْصَبُ نَفْسُكَ اغْتِصَابًا؟! فَذَلِكَ أَقْرَحُ لِقَلْبِي وَأَشَدُّ عَلَى نَفْسِي.

وَصَرَخَتْ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَخَرَّتْ مَغْشِيًّا عَلَيْهَا! فَقَامَ إِلَيْهَا «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَصَبَّ عَلَى وَجْهِهَا الْمَاءَ، وَقَالَ لَهَا:

- يَا أُخَيَّةُ، اتَّقِي اللهَ وَتَعَزِّي بِعَزَاءِ اللهِ، وَاعْلَمِي أَنَّ أَهْلَ الْأَرْضِ يَمُوتُونَ، وَأَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ لَا يَبْقَوْنَ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَ اللهِ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ بِقُدْرَتِهِ، وَيَبْعَثُ الْخَلْقَ فَيَعُودُونَ، وَهُوَ فَرْدٌ وَحْدَهُ. أَبِي خَيْرٌ مِنِّي، وَأُمِّي خَيْرٌ مِنِّي، وَأَخِي خَيْرٌ مِنِّي، وَلِي وَلَهُمْ وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ بِرَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ.

يَا أُخَيَّةُ إِنِّي أُقْسِمُ عَلَيْكِ فَأَبِرِّي قَسَمِي، لَا تَشُقِّي عَلَيَّ جَيْبًا، وَلَا تَخْمِشِي عَلَيَّ وَجْهًا، وَلَا تَدْعِي عَلَيَّ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ إِذَا أَنَا هَلَكْتُ.

قَالَ «عَلِيُّ زَيْنُ الْعَابِدِينَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- ثُمَّ جَاءَ بِهَا حَتَّى أَجْلَسَهَا عِنْدِي، وَخَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يُقَرِّبُوا بَعْضَ بُيُوتِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وَأَنْ يُدْخِلُوا الْأَطْنَابَ بَعْضَهَا فِي بَعْضٍ، وَأَنْ يَكُونُوا هُمْ بَيْنَ الْبُيُوتِ إِلَّا الْوَجْهَ الَّذِي يَأْتِيهِمْ مِنْهُ عَدُوُّهُمْ.

وَحَدَّثَ «الضَّحَّاكُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْمَشْرِقِيُّ»، فَقَالَ:

- فَلَمَّا أَمْسَى «حُسَيْنٌ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَصْحَابُهُ، قَامُوا اللَّيْلَ كُلَّهُ يُصَلُّونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ، وَيَدْعُونَ وَيَتَضَرَّعُونَ، فَتَمُرُّ بِنَا خَيْلٌ لَهُمْ تَحْرُسُنَا، وَإِنَّ «حُسَيْنًا» لَيَقْرَأُ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ ﴾.

فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنْ تِلْكَ الْخَيْلِ الَّتِي كَانَتْ تَحْرُسُنَا، فَقَالَ:

- نَحْنُ ـ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ـ الطَّيِّبُونَ.. مُيِّزْنَا مِنْكُمْ.

قَالَ «الضَّحَّاكُ»:

- فَعَرَفْتُهُ فَقُلْتُ لِـ «بُرَيْرِ بْنِ حُضَيْرٍ»:

- تَدْرِي مَنْ هَذَا؟

قَالَ:

- لَا..

قُلْتُ:

- هَذَا أَبُو حَرْبٍ السَّبِيعِيُّ «عَبْدُ اللهِ بْنُ شَهْرٍ» (وَكَانَ مِضْحَاكًا بَطَّالًا شُجَاعًا فَاتِكًا، وَكَانَ «سَعِيدُ بْنُ قَيْسٍ» رُبَّمَا حَبَسَهُ فِي جِنَايَةٍ).

فَقَالَ «بُرَيْرٌ» لِـ «أَبِي حَرْبٍ» هَذَا:

- يَا فَاسِقُ... أَنْتَ يَجْعَلُكَ اللهُ فِي الطَّيِّبِينَ؟!

فَقَالَ لَهُ «أَبُو حَرْبٍ»:

- مَنْ أَنْتَ؟

قَالَ:

- أَنَا «بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ».

قَالَ «أَبُو حَرْبٍ»:

- إِنَّا للهِ... عَزَّ عَلَيَّ، هَلَكْتَ وَاللهِ... هَلَكْتَ وَاللهِ يَا «بُرَيْرُ».

قَالَ «بُرَيْرٌ»:

- يَا «أَبَا حَـــرْبٍ» هَلْ لَكَ أَنْ تَتُوبَ إِلَى اللهِ مِنْ ذُنُوبِكَ الْعِظَامِ؟ فَوَاللهِ إِنَّا لَنَحْنُ الطَّيِّبُونَ، وَلَكِنَّكُمْ لَأَنْتُمُ الْخَبِيثُونَ.

قَالَ «أَبُو حَرْبٍ»:

- وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ.

قُلْتُ ـ أَيِ الضَّحَّاكُ ـ لِـ «أَبِي حَرْبٍ»:

- وَيْحَكَ!! أَفَلَا تَنْفَعُكَ مَعْرِفَتُكَ؟

قَالَ:

- جُعِلْتُ فِدَاكَ.. فَمَنْ يُنَادِمُ «يَزِيدَ بْنَ عَزْرَةَ»؟!

قَالَ «بُرَيْرٌ»:

- قَبَّحَ اللهُ رَأْيَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ... أَنْتَ سَفِيهٌ.

قَالَ «الضَّحَّاكُ»:

- ثُمَّ انْصَرَفَ عَنَّا.

وَكَانَ الَّذِي يَحْرُسُنَا بِاللَّيْلِ «عَزْرَةُ بْنُ قَيْسٍ الْأَحْمَسِيُّ»، وَكَانَ عَلَى الْخَيْلِ، فَلَمَّا صَلَّى «عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ» الْغَدَاةَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، خَرَجَ فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ.

وَعَبَّأَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَصْحَابَهُ وَصَلَّى بِهِمْ صَلَاةَ الْغَدَاةِ، وَكَانَ مَعَهُ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا وَأَرْبَعُونَ رَاجِلًا، فَجَعَلَ «زُهَيْرَ بْنَ الْقَيْنِ» فِي مَيْمَنَةِ أَصْحَابِهِ، وَ«حَبِيبَ بْنَ مُظَاهِرٍ» فِي مَيْسَرَةِ أَصْحَابِهِ، وَأَعْطَى رَايَتَهُ أَخَاهُ «الْعَبَّاسَ بْنَ عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

وَجَعَلُوا الْبُيُوتَ فِي ظُهُورِهِمْ، وَأَمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِحَطَبٍ وَقَصَبٍ كَانَ مِنْ وَرَاءِ الْبُيُوتِ يُحْرَقُ بِالنَّارِ؛ مَخَافَةَ أَنْ يَأْتُوهُمْ مِنْ وَرَائِهِمْ.

وَدَخَلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فُسْطَاطَهُ، فَتَطَلَّى بِالنُّورَةِ، وَعَلَى بَابِ الْفُسْطَاطِ «عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ» وَ«بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ» تَحْتَكُّ مَنَاكِبُهُمَا، فَازْدَحَمَا أَيُّهُمَا يُطَلَّى عَلَى أَثَرِهِ، فَجَعَلَ «بُرَيْرٌ» يُهَازِلُ «عَبْدَ الرَّحْمَنِ»، فَقَالَ لَهُ «عَبْدُالرَّحْمَنِ»:

ـ دَعْنَا، فَوَاللهِ مَا هَذِهِ بِسَاعَةِ بَاطِلٍ.

فَقَالَ لَهُ «بُرَيْرٌ»:

ـ وَاللهِ لَقَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنِّي مَا أَحْبَبْتُ الْبَاطِلَ شَابًّا وَلَا كَهْلًا ـ وَاللهِ ـ إِنِّي لَمُسْتَبْشِرٌ بِمَا نَحْنُ لَاقُونَ، وَاللهِ إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْحُورِ الْعِينِ إِلَّا أَنْ يَمِيلَ هَؤُلَاءِ عَلَيْنَا بِأَسْيَافِهِمْ.

وَلَمَّا فَرَغَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دَخَلَا فَاطَّلَيَا، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ وَدَعَا بِمُصْحَفٍ فَوَضَعَهُ أَمَامَهُ.

وَقَالَ دَاعِيًا رَبَّهُ:

- اللَّهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةً وَعُدَّةً، كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ فِيهِ الْفُؤَادُ، وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذِلُ فِيهِ الصَّدِيقُ، وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلْتُهُ بِكَ، وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ، رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَّجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ، وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ.

وَلَمَّا أَذَّنَ مُؤَذِّنُ الْمَعْرَكَةِ، وَتَهَاوَتِ الرُّؤُوسُ وَتَبَعْثَرَتِ الْأَشْلَاءُ، وَاصْطَبَغَتِ الْأَرْضُ بِالدِّمَاءِ، وَحَانَ حِينُ «بُرَيْرِ بْنِ حُضَيْرٍ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بَرَزَ إِلَى الْحَلْبَةِ وَهُوَ يُفَاخِرُ وَيُنْشِدُ:

أَنَا «بُرَيْرٌ» وَأَبِي «حُضَيْرْ»

لَا خَيْرَ فِيمَنْ لَيْسَ فِيهِ خَيْرْ

رَوَى «عَفِيفُ بْنُ زُهَيْرٍ»، فَقَالَ:

- الْتَقَى «يَزِيدُ بْنُ مَعْقِلٍ» «بُرَيْرَ بْنَ حُضَيْرٍ» فَقَالَ لَهُ:
- يَا «بُرَيْرُ بْنَ حُضَيْرٍ» ... كَيْفَ تَرَى اللهُ صَنَعَ بِكَ؟

فَأَجَابَهُ «بُرَيْرٌ»:

- صَنَعَ اللهُ ـ وَاللهِ ـ بِي خَيْرًا، وَصَنَعَ بِكَ شَرًّا.

فَقَالَ لَهُ «يَزِيدُ»:

- كَذَبْتَ ... وَقَبْلَ الْيَوْمِ مَا كُنْتَ كَذَّابًا! هَلْ تَذْكُرُ وَأَنَا أُمَاشِيكَ فِي «بَنِي لُوذَانَ» وَأَنْتَ تَقُولُ: إِنَّ «عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ» كَانَ عَلَى نَفْسِهِ مُسْرِفًا، وَإِنَّ «مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ» ضَالٌّ مُضِلٌّ، وَإِنَّ إِمَامَ الْهُدَى وَالْحَقِّ «عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ»؟

فَقَالَ «بُرَيْرٌ»:

- أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا رَأْيِي وَقَوْلِي.

فَقَالَ لَهُ «يَزِيدُ»:

- فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ مِنَ الضَّالِّينَ.

فَقَالَ لَهُ «بُرَيْرٌ»:

- هَلْ لَكَ فَلْأُبَاهِلْكَ[1]، وَلْنَدْعُ اللهَ أَنْ يَلْعَنَ الْكَاذِبَ وَأَنْ يَقْتُلَ الْمُبْطِلَ، ثُمَّ اخْرُجْ فَلْأُبَارِزْكَ.

فَخَرَجَا فَرَفَعَا أَيْدِيَهُمَا إِلَى اللهِ يَدْعُوَانِهِ أَنْ يَلْعَنَ الْكَاذِبَ وَأَنْ يَقْتُلَ الْمُحِقُّ الْمُبْطِلَ. ثُمَّ بَرَزَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ، فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ، فَضَرَبَ «يَزِيدُ بْنُ مَعْقِلٍ» «بُرَيْرَ بْنَ حُضَيْرٍ» ضَرْبَةً خَفِيفَةً لَمْ يَضُرَّهُ شَيْئًا، وَضَرَبَهُ «بُرَيْرٌ» ضَرْبَةً قَدَّتِ الْمِغْفَرَ[2]، وَبَلَغَتِ الدِّمَاغَ، فَخَرَّ كَأَنَّمَا هَوَى

---

(١) أُلَاعِنُكَ.

(٢) الخُوذَةُ.

مِنْ حَالِقٍ، وَإِنَّ سَـــيْفَ «ابْنِ حُضَيْرٍ» لَثَابِتٌ فِي رَأْسِـــهِ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يُخَلِّصُهُ مِنْ رَأْسِهِ. وَحَمَلَ «رُخَيُّ بْنُ مُنْقِذٍ» عَلَى «بُرَيْرٍ» فَاعْتَنَقَا، فَاعْتَرَكَا سَاعَةً، ثُمَّ إِنَّ «بُرَيْرًا» قَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ، فَصَرَخَ «رُخَيٌّ»:

- أَيْنَ أَهْلُ الْمِصَاعِ[1] وَالدِّفَاعِ؟

فَذَهَبَ «كَعْبُ بْنُ جَابِرٍ» لِيَحْمِلَ عَلَى «بُرَيْرٍ»، فَقُلْتُ لَهُ:

- إِنَّ هَذَا «بُرَيْرُ بْنُ حُضَيْرٍ» الْقَارِئُ الَّذِي كَانَ يُقْرِئُنَا الْقُرْآنَ فِي الْمَسْجِدِ!

فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ بِالرُّمْـــحِ حَتَّى وَضَعَهُ فِي ظَهْرِهِ، فَلَمَّا وَجَدَ مَسَّ الرُّمْحِ بَرَكَ عَلَيْهِ فَعَضَّ بِوَجْهِهِ، وَقَطَعَ طَرَفَ أَنْفِهِ، فَطَعَنَهُ «كَعْبُ بْنُ جَابِرٍ» حَتَّى أَلْقَاهُ عَنْهُ، وَقَدْ غَيَّبَ السِّـــنَانَ فِي ظَهْرِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ بِسَيْفِهِ حَتَّى قَتَلَهُ.

قَالَ «عَفِيفٌ»:

- كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْعَبْدِيِّ الصَّرِيعِ قَامَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْ قِبَائِهِ وَيَقُولُ:

- أَنْعَمْتَ عَلَيَّ يَا أَخَا الْأَزْدِ نِعْمَةً لَنْ أَنْسَاهَا أَبَدًا.

***

وَمَا زَالَتْ صَفْحَةُ «بُرَيْرِ بْنِ حُضَيْرٍ» الشَّـــهِيدِ الْقَارِئِ فِي سِفْرِ كَرْبَلَاءَ تَشِعُّ بِالضِّيَاءِ وَالنُّورِ مُتَأَلِّقَةً نَاصِعَةً.

---

(١) الْمُجَالَدَةُ.

عَمْرُو بْنُ قَرَظَةَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى يَصِفُ الْجَبَّارِينَ وَيُحَذِّرُهُمْ:

﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾.

***

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«سِيَاحَةُ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».

***

وَقَالَ شَهِيدُ كَرْبَلَاءَ «عَمْرُو بْنُ قَرَظَةَ الْأَنْصَارِيُّ» مُنْشِدًا:

قَـــدْ عَـلِمَـتْ كَتِيبَـــةُ الْأَنْصَارِ

أَنِّي سَـأَحْـمِي حَـــوْزَةَ الـذِّمَـارِ

ضَـرْبَ غُـــلَامٍ غَيْـــرَ نِكْسٍ شَارِي

دُونَ «حُسَـــيْنٍ» مُهْـجَـــتِي وَدَارِي

تَوْطِئَةٌ

لَقِيَتِ الدَّعْوَةُ الْإِسْـلَامِيَّةُ فِي «مَكَّةَ» مِنْ قُرَيْشٍ نُفُورًا شَـدِيدًا وَحَرْبًا مَسْعُورَةً، وَعَانَى السَّابِقُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَنَاءً بَالِغًا، وَتَحَمَّلُوا فِي سَبِيلِ إِيمَانِهِمْ وَإِسْلَامِهِمْ كُلَّ ضُرُوبِ الْإِيذَاءِ وَالْعَذَابِ.

وَمِنْ ثَمَّ تَلَقَّفَهَا «الْأَنْصَارُ» مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَأَنْبَتَتْ فِي أَرْضِهِمْ وَاشْتَدَّ عُودُهَا، ثُمَّ أَزْهَرَتْ وَأَيْنَعَتْ وَآتَتْ أُكُلَهَا.

وَلَقَدْ كَانَ «الْأَنْصَارُ» خَيْرَ مِعْوَانٍ لِصَاحِبِ الرِّسَـالَةِ (عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَطْيَبُ السَّلَامِ وَأَزْكَاهُ)، فَأَدَّوْا أَمَانَةَ الرِّعَايَةِ لَهُ وَلِإِخْوَانِهِ؛ آزَرُوهُ وَنَصَرُوهُ، وَاسْتَعْذَبُوا الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ.

ثُـــمَّ مَا زَالُوا بَعْـــدَ لُحُوقِهِ (عَلَيْهِ الصَّـــلَاةُ وَالسَّـــلَامُ) بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى يَقِفُونَ دَائِمًا وَأَبَدًا إِلَى جَانِبِ الْحَقِّ... يَسِـــيحُونَ فِي الْأَرْضِ مُجَاهِدِينَ

وَمُكَافِحِيـــنَ، وَيَتَخَيَّـــرُونَ مَيَادِينَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ بِالسَّـــيْفِ أَوْ بِالْكَلِمَةِ، فَيُقَارِعُونَ الْبَاطِلَ وَيُنَازِلُونَ الْفَسَادَ.

وَمَا «عَمْرُو بْنُ قَرَظَةَ» إِلَّا ثَمَرَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّـــجَرَةِ الطَّيِّبَةِ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّـــمَاءِ، سُـــقِيَتْ بِنَفْحِ النُّبُوَّةِ فِي «الْمَدِينَةِ»، وَفَاضَتْ رُوحًا كَرِيمَةً مِعْطَاءَةً عَلَى أَرْضِ «كَرْبَلَاءَ».

أَسْـــلَمَ «قَرَظَةُ بْنُ كَعْبٍ» ـ وَالِدُ عَمْرٍو ـ فِي الْمَدِينَةِ مُبَكِّرًا، وَانْتَظَمَ فِي مَوْكِبِ الدَّعْوَةِ جُنْدِيًّا مُكَافِحًا، وَشَـــهِدَ تَحْتَ لِوَاءِ رَسُـــولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ الْمَشَـــاهِدِ، وَقَاتَلَ قِتَالَ الْأَبْطَالِ، وَقَارَعَ الْخُصُومَ قِرَاعَ الْفُرْسَانِ الْأَشِدَّاءِ، وَتَفَقَّهَ فِي دِينِ اللهِ تَعَالَى فَبَرَعَ، وَأَصْبَحَ وَاحِدًا مِنَ الَّذِينَ يُشَارُ إِلَى عِلْمِهِمْ فِي الْمَدِينَةِ.

وَحِينَ اتَّسَعَتْ رُقْعَةُ الْعَالَمِ الْإِسْـــلَامِيِّ، وَاحْتَاجَتِ الْأَمْصَارُ إِلَى مَنْ يُعَلِّمُ النَّاسَ فِيهَا أُمُورَ دِينِهِمْ، وَيَفْصِلُ وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي شُـــئُونِ دُنْيَاهُمْ، اخْتِيـــرَ «قَرَظَةُ» مَعَ نَفَرٍ مِـــنْ إِخْوَانِهِ الْعُلَمَاءِ؛ لِيَكُونُـــوا وُعَّاظًا مُعَلِّمِينَ يَحْمِلُونَ عِبْءَ التَّوْجِيهِ وَالْإِرْشَادِ فِي الْكُوفَةِ.

فَغَـــادَرَ الْمَدِينَةَ بِأَهْلِهِ إِلَى الْكُوفَةِ، وَكَانَ ابْنُـــهُ «عَمْرٌو» فِي ذَلِكَ الْحِينِ فَتًى صَغِيرًا. وَهُنَاكَ أَقَامَ «قَرَظَةُ» وَابْتَنَى دَارًا، كَمَا اتَّخَذَ مِنَ الْكُوفَةِ وَطَنًا ثَانِيًا، وَاسْتَمَرَّ عَلَى عَمَلِهِ فِي مَسْجِدِهَا رَدْحًا مِنَ الزَّمَنِ.

وَفِي زَمَنِ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عَلِيٍّ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كَانَ «قَرَظَةُ» وَابْنُهُ «عَمْرٌو» مِنْ أَكْثَرِ الْمُقَرَّبِينَ إِلَى الْإِمَامِ، يُخْلِصَانِ لَهُ الْوُدَّ وَالنُّصْحَ وَالتَّعَاوُنَ.

تَوَفَّى اللهُ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ـ «قَرَظَةَ»، فَصَلَّى عَلَيْهِ «الْإِمَامُ»، ثُمَّ حَنَا عَلَى «عَمْرٍو» فَرَعَاهُ وَوَاسَاهُ، وَخَفَّفَ عَنْهُ مَا أَلَمَّ بِهِ مِنْ حُزْنٍ.

نَشَأَ «عَمْرُو بْنُ قَرَظَةَ» عَلَى حُبِّ آلِ الْبَيْتِ، وَعَاصَرَ مَعَهُمْ جَمِيعًا كُلَّ جِهَادِهِمْ، وَبَاشَرَ بِنَفْسِهِ وَبِسَيْفِهِ كُلَّ مَعَارِكِ كِفَاحِهِمْ وَنِضَالِهِمْ فِي سَبِيلِ تَقْوِيمِ الِاعْوِجَاجِ وَضَبْطِ الِانْحِرَافِ، اللَّذَيْنِ كَانَتْ تُعَانِي مِنْهُمَا الْأُمَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ.

وَكَانَ لِـ «عَمْرٍو» أَخٌ اسْمُهُ «عَلِيٌّ» أَغْرَتْهُ مَطَامِعُ الدُّنْيَا وَزُخْرُفُهَا وَزِينَتُهَا، فَانْضَمَّ إِلَى صُفُوفِ الْخُصُومِ، يُؤَلِّبُ عَلَى آلِ الْبَيْتِ، وَيَذُمُّ فِيهِمْ.

وَحِينَ رَفَعَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِوَاءَ الْجِهَادِ، وَاسْتَجَابَ لِبَيْعَةِ الْكُوفِيِّينَ وَدَعْوَتِهِمْ، كَانَ «عَمْرٌو» مِنْ أَوَائِلِ الَّذِينَ وَقَفُوا إِلَى جَانِبِهِ وَقْفَةَ إِخْلَاصٍ وَوَلَاءٍ وَصِدْقٍ.

وَحِينَ سَارَ «رَضِيَ اللهُ عَنْهُ» إِلَى الْكُوفَةِ، كَانَ «عَمْرٌو» فِي طَلِيعَةِ الْمَوْكِبِ، يَسْتَحِثُّهُ الشَّوْقُ وَيَحْدُوهُ الْأَمَلُ، وَيَنْدَفِعُ مَعَ «أَبِي عَبْدِ اللهِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُسْتَعِيدًا فِي ذِهْنِهِ صُوَرَ الْكِفَاحِ الْأُولَى الَّتِي خَاضَهَا أَبُوهُ «قَرَظَةُ» تَحْتَ لِوَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَالَّتِي كَانَ

يُحَدِّثُهُ عَنْهَا فَيُنَمِّي فِي نَفْسِهِ وَحِسِّهِ مَعَانِيَ الْجِهَادِ وَالْجِلَادِ؛ دِفَاعًا عَنِ الْحَقِّ، وَاسْتِمَاتَةً فِي سَبِيلِهِ.

وَحِينَ تَرَاخَى النَّاسُ؛ طُلَّابُ الدُّنْيَا، وَاسْتَنْكَفُوا عَنْ مُتَابَعَةِ الْمَسِيرَةِ إِلَى جَانِبِ الْإِمَامِ «أَبِي عَبْدِ اللهِ»، وَقَدْ بَلَغَهُمْ نَبَأُ مَقْتَلِ «مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ» وَ«هَانِئِ بْنِ عُرْوَةَ»، وَأَنْبَاءُ تَخَاذُلِ أَهْلِ الْكُوفَةِ عَنْ نُصْرَةِ الْحَقِّ، عِنْدَ ذَاكَ... لَمْ تَهِنْ عَزِيمَةُ «عَمْرِو بْنِ قَرَظَةَ»، وَلَمْ يَضْعُفْ إِيمَانُهُ بِالْحَقِّ، وَلَمْ يَتَرَاخَ عَنِ الْمُوَاكَبَةِ وَالْمُتَابَعَةِ.

وَتَقَابَلَ الطَّرَفَانِ: فِئَةٌ قَلِيلَةُ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، كَثِيرَةُ الْإِيمَانِ وَالْمُرُوءَةِ، وَفِئَةٌ بَالِغَةُ الْإِعْدَادِ وَالِاسْتِعْدَادِ، عَدِيمَةُ الْإِيمَانِ وَالْوَفَاءِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ.

وَجَاءَتْ أَوَامِرُ «ابْنِ زِيَادٍ» مِنَ الْكُوفَةِ بِعَدَمِ الْإِبْطَاءِ وَحَسْمِ الْمَوْقِفِ، فَاسْتَعَدَّ «ابْنُ سَعْدٍ» لِلتَّنْفِيذِ رَغْبَةً بِالْإِمَارَةِ!

فَقَالَ لَهُ «الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ التَّمِيمِيُّ» ـ وَكَانَ لَا يَزَالُ فِي صُفُوفِهِمْ ـ:

ـ أَصْلَحَكَ اللهُ... أَمُقَاتِلٌ أَنْتَ هَذَا الرَّجُلَ؟!

فَقَالَ «ابْنُ سَعْدٍ»:

ـ إِي وَاللهِ؛ قِتَالًا أَيْسَرُهُ أَنْ تَسْقُطَ الرُّؤُوسُ وَتَطِيحَ الْأَيْدِي!

فَقَالَ «الْحُرُّ»:

ـ أَفَمَا لَكُمْ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الْخِصَالِ الَّتِي عَرَضَ عَلَيْكُمْ رِضًا؟!

فَأَجَابَ «ابْنُ سَعْدٍ»:

- أَمَا وَاللهِ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ إِلَيَّ لَفَعَلْتُ، وَلَكِنَّ أَمِيرَكَ ـ يَعْنِي «ابْنَ زِيَادٍ» ـ قَدْ أَبَى ذَلِكَ!

عِنْدَئِذٍ أَرَادَ «الْحُرُّ بْنُ يَزِيدَ التَّمِيمِيُّ» أَنْ يَنْأَى بِنَفْسِهِ عَنْ هَذَا الْمَوْقِفِ، وَأَنْ يُحَرِّرَ نَفْسَهُ وَوِجْدَانَهُ مِنْ عُقْدَةِ التَّبَعِيَّةِ الرَّخِيصَةِ، وَأَنْ يَجُودَ بِرُوحِهِ إِرْضَاءً لِلْحَقِّ تَعَالَى.

فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ مِنَ النَّاسِ مَوْقِفًا، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ يُدْعَى «قُرَّةَ ابْنَ قَيْسٍ»، وَقَالَ:

- يَا «قُرَّةُ».. هَلْ سَقَيْتَ فَرَسَكَ الْيَوْمَ؟

قَالَ:

- لَا.

قَالَ «الْحُرُّ»:

- إِنَّمَا تُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَهُ؟

قَالَ «قُرَّةُ»:

- فَظَنَنْتُ ـ وَاللهِ ـ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتَنَحَّى فَلَا يَشْهَدَ الْقِتَالَ، وَكَرِهَ أَنْ أَرَاهُ حِينَ يَصْنَعُ ذَلِكَ، فَيَخَافُ أَنْ أَرْفَعَهُ عَلَيْهِ. فَقُلْتُ لَهُ:

- لَمْ أَسْقِهِ، وَأَنَا مُنْطَلِقٌ فَسَاقِيهِ.

فَوَاللهِ لَوْ أَطْلَعَنِي عَلَى الَّذِي يُرِيدُ، لَخَرَجْتُ مَعَهُ إِلَى «الْحُسَيْنِ».

وَرَآهُ رَجُلٌ آخَرُ مِنْ قَوْمِهِ أَيْضًا يَسْتَعِدُّ لِلِانْضِمَامِ إِلَى صُفُوفِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يُدْعَى «الْمُهَاجِرَ بْنَ أَوْسٍ»، فَقَالَ لَهُ:

- مَا تُرِيدُ يَا «ابْنَ يَزِيدَ»؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَحْمِلَ؟!

فَسَكَتَ «الْحُرُّ» وَلَمْ يُجِبْ. فَقَالَ «الْمُهَاجِرُ بْنُ أَوْسٍ»:

- وَاللهِ إِنَّ أَمْرَكَ لَمُرِيبٌ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ مِنْكَ فِي مَوْقِفٍ قَطُّ مِثْلَ شَيْءٍ أَرَاهُ الْآنَ، وَلَوْ قِيلَ لِي: مَنْ أَشْجَعُ أَهْلِ الْكُوفَةِ رَجُلًا؟ مَا عَدَوْتُكَ... فَمَا هَذَا الَّذِي أَرَى مِنْكَ؟!

فَقَالَ «الْحُرُّ»:

- إِنِّي وَاللهِ أُخَيِّرُ نَفْسِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَوَاللهِ لَا أَخْتَارُ عَلَى الْجَنَّةِ شَيْئًا وَلَوْ قُطِّعْتُ وَحُرِّقْتُ!

ثُمَّ ضَرَبَ فَرَسَهُ وَلَحِقَ بِـ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

❊❊❊

وَأُثِرَ عَنْ «عَمْرِو بْنِ قَرَظَةَ» فِي يَوْمِ «كَرْبَلَاءَ» أَنَّهُ قَدْ وَقَفَ بِجَانِبِ الْإِمَامِ «أَبِي عَبْدِ اللهِ» وَهُوَ يُصَلِّي، يَتَلَقَّى دُونَهُ السِّهَامَ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْقَتْلِ وَالْمَوْتِ؛ فِدَاءً لِابْنِ بَنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَإِنِّي لَأَرَى فِي مَوْقِفِهِ هَذَا أَثَرًا مِمَّا كَانَ يُحَدِّثُهُ بِهِ وَالِدُهُ «قَرَظَةُ» عَنِ

الَّذِينَ حَمَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ «أُحُدٍ» بِأَنْفُسِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ، وَكَانُوا يَتَّقُونَ بِهَا السِّهَامَ وَالنِّبَالَ الْمُنْهَمِرَةَ عَلَى الْجِهَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ).

أُمْثُولَاتٌ مِنَ الْمَاضِي الْقَرِيبِ كَانَ يُحَدِّثُ بِهَا «قَرَظَةُ» وَلَدَهُ «عَمْرًا»، فَيُنَمِّي فِي نَفْسِهِ وَفِي أَعْمَاقِ ذَاتِهِ مَعَانِيَ الْبُطُولَةِ وَالتَّضْحِيَةِ وَالْفِدَاءِ.

وَكَانَ حَقًّا عَلَى الْإِمَامِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لِـ «عَمْرٍو» بِخَيْرٍ؛ لِقَاءَ مَوْقِفِهِ الْعَظِيمِ، وَفِدَائِيَّتِهِ الْخَارِقَةِ.

وَكَانَ حَقًّا عَلَى «عَمْرِو بْنِ قَرَظَةَ» أَنْ تَتَلَاقَى رُوحُهُ بِرُوحِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَيَنْدَفِعَ إِلَى حَلْبَةِ الْمُبَارَزَةِ حِينَ دَعَا دَاعِي الْجِهَادِ، وَيُرَدِّدَ مُفَاخِرًا بِنِسْبَتِهِ الْأَنْصَارِيَّةِ، فَيَقُولَ مُنْشِدًا:

قَدْ عَلِمَتْ كَتِيبَةُ الْأَنْصَارِ
أَنِّي سَأَحْمِي حَوْزَةَ الذِّمَارِ

ضَرْبَ غُلَامٍ غَيْرَ نِكْسٍ شَارِي
دُونَ «حُسَيْنٍ» مُهْجَتِي وَدَارِي

وَأَخَذَ يَجُولُ وَيَصُولُ فِي الْمَيْدَانِ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ صُفُوفِ جَيْشِ «ابْنِ سَعْدٍ» أَكْثَرُ مِنْ وَاحِدٍ، وَتَكَاثَرُوا عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَحَاوَرَهُ بَعْضُهُمْ،

وَدَاوَرَهُ الْبَعْضُ الْآخَرُ حَتَّى غَدَرُوا بِهِ وَقَتَلُوهُ، وَتَرَكُوهُ فَوْقَ الْأَرْضِ مُضَرَّجًا بِدِمَائِهِ، يَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ.

وَعَلِمَ أَخُوهُ «عَلِيٌّ» الَّذِي كَانَ فِي صُفُوفِ «ابْنِ سَعْدٍ» بِمَقْتَلِهِ، فَجَرَى مُسْرِعًا ـ وَقَدْ أَخَذَتْهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ ـ فَوْقَ فَرَسِهِ، حَتَّى دَنَا مِنَ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ وَالْغَيْظُ يَكَادُ يَأْكُلُ قَلْبَهُ:

ـ يَا «حُسَيْنُ»... أَضْلَلْتَ أَخِي وَغَرَّرْتَهُ حَتَّى قَتَلْتَهُ.

فَأَجَابَهُ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

ـ إِنَّ اللهَ لَمْ يُضِلَّ أَخَاكَ، وَلَكِنَّهُ هَدَى أَخَاكَ وَأَضَلَّكَ.

فَقَالَ «عَلِيُّ بْنُ قَرَظَةَ»:

ـ قَتَلَنِي اللهُ إِنْ لَمْ أَقْتُلْكَ، أَوْ أَمُوتُ دُونَ ذَلِكَ!

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُرِيدُ أَنْ يَبْلُغَهُ وَيَفْتِكَ بِهِ، فَاعْتَرَضَهُ مِنْ صُفُوفِ «الْحُسَيْنِ» «نَافِعُ بْنُ هِلَالٍ الْمُرَادِيُّ»، فَطَعَنَهُ بِرُمْحِهِ وَصَرَعَهُ، وَحَالَ دُونَهُ وَدُونَ بُلُوغِ مَأْرَبِهِ، ثُمَّ حَمَلَ أَصْحَابُهُ وَاسْتَنْقَذُوهُ وَقَدْ كَانَ فِيهِ رَمَقٌ، فَعُولِجَ حَتَّى بَرَأَ وَشُفِيَ.

❋❋❋

وَضَمَّتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِرِفْقٍ رُوحَ «عَمْرِو بْنِ قَرَظَةَ» وَحَمَلَتْهَا إِلَى عِلِّيِّينَ.

لَقَدْ كَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَوَائِلِ أَصْحَابِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّذِينَ جَادُوا بِأَرْوَاحِهِمْ، وَاسْتَطَابُوا الْمَوْتَ حُبًّا بِالْحَقِّ، وَطَلَبًا لِرِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى، وَوَفَاءً لِلْعَقِيدَةِ وَالْمَبْدَإِ.

***

قَالَ «عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْحُرِّ بْنِ يَزِيدَ» يَرْثِي شُهَدَاءَ كَرْبَلَاءَ:

يَقُولُ أَمِيرٌ غَادِرٌ حَقُّ غَادِرِ
أَلَا كُنْتَ قَاتَلْتَ الشَّهِيدَ ابْنَ فَاطِمَهْ

فَيَا نَدَمِي أَنْ لَا أَكُونَ نَصَرْتُهُ
أَلَا كُلُّ نَفْسٍ لَا تُسَدِّدُ نَادِمَهْ

وَإِنِّي لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ مِنْ حُمَاتِهِ
لَذُو حَسْرَةٍ مَا إِنْ تُفَارِقُ لَازِمَهْ

سَقَى اللهُ أَرْوَاحَ الَّذِينَ تَآزَرُوا
عَلَى نَصْرِهِ سَقْيًا مِنَ الْغَيْثِ دَائِمَهْ

وَقَفْتُ عَلَى أَجْدَاثِهِمْ وَقُبُورِهِمْ
فَكَادَ الْحَشَا يَنْقَضُّ وَالْعَيْنُ سَاجِمَهْ

لَعَمْرِي لَقَدْ كَانُوا مَصَالِيتَ فِي الْوَغَى
سِرَاعًا إِلَى الْهَيْجَا حُمَاةً خَضَارِمَهْ

تَآسَـــوْا عَلَى نَصْـــرِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِـمْ
بِأَسْـــيَافِهِمْ آسَـادَ غِـــيلٍ ضَـرَاغِمَهْ
فَـــإِنْ يُقْتَـلُوا فَكُـلُّ نَفْـــسٍ تَقِـــيَّةٍ
عَلَى الْأَرْضِ قَدْ أَضْحَتْ لِذَلِكَ وَاجِمَهْ
فَمَـــا إِنْ رَأَى الرَّاءُونَ أَفْضَـــلَ مِنْهُمُ
لَدَى الْمَوْتِ سَـــادَاتٍ وَزُهْرًا قَمَاقِمَهْ
أَتَقْتُلُهُمْ ظُلْـــمًا وَتَرْجُو وِدَادَنَـــا؟!
فَـــذِي خُطَّـــةٌ لَيْسَـتْ لَنَـــا بِمُلَائِمَهْ
لَعَمْـرِي لَقَـــدْ رَاغَمْتُمُـــونَا بِقَتْلِهِمْ
فَكَـــمْ نَاقِـــمٍ مِنَّـــا عَلَيْكُـــمْ وَنَاقِمَهْ
أَهُـــمُّ مِـــرَارًا أَنْ أَسِـــيرَ بِجَحْـفَلٍ
إِلَى فِئَـــةٍ زَاغَـــتْ عَنِ الْحَقِّ ظَالِمَهْ
فَيَـــا ابْـــنَ زِيَـــادٍ اسْتَعِـــدَّ لِحَرْبِنَا
وَمَوْقِفِ ضَنْـــكٍ تَقْصِمُ الظَّهْرَ قَاصِمَهْ

❊❊❊

وَقَالَ آخَرُ:

جَاءُوا بِرَأْسِكَ يَا ابْنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ
مُتَزَمِّلًا بِدِمَائِهِ تَزْمِيلَا

وَكَأَنَّمَا بِكَ يَا ابْنَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ
قَتَلُوا جِهَارًا عَامِدِينَ رَسُولَا

قَتَلُوكَ عَطْشَانًا وَلَمْ يَتَدَبَّرُوا
فِي قَتْلِكَ الْقُرْآنَ وَالتَّنْزِيلَا

وَيُكَبِّرُونَ بِأَنْ قُتِلْتَ وَإِنَّمَا
قَتَلُوا بِكَ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَا

***

وَهْبُ بْنُ الْكَلْبِيِّ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴾.

***

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

« لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللهُ تَعَالَى بِهِمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللهِ ».

***

وَكَانَ «وَهْبُ بْنُ الْكَلْبِيِّ» يُرَدِّدُ يَوْمَ كَرْبَلَاءَ:

إِنْ تُنْكِـــرُونِي فَأَنـا ابْـــنُ الكَـلْبِي

سَـــوْفَ تَـرَوْنِي وَتَـــرَوْنَ ضَـــرْبِي

أُدْرِكُ ثَـــأْرِي بَعْـدَ ثَـــأْرِي صَحْبِي

وَأَكْشِـــفُ الْكَـرْبَ أَمَـــامَ الْكَـرْبِ

***

هَيْهَاتَ هَيْهَـــاتَ أَنْ يَجُودَ الزَّمَانُ بِفِئَةٍ كَتِلْكَ الْفِئَـــةِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْ أَجْسَـــادِهَا وَدِمَائِهَا وَأَرْوَاحِهَا وَقُودًا لِثَوْرَةِ الْحَـــقِّ عَلَى الْبَاطِلِ، وَالْعَدْلِ عَلَى الظُّلْمِ، وَدَفَعَتْ عَجَلَةَ الزَّمَنِ بِقُوَّةِ الْإِيمَـــانِ وَعَزْمَةِ الْيَقِينِ، وَلَقَّنَتِ الْوُجُودَ كُلَّهُ أَبْلَغَ وَأَعْظَمَ دَرْسٍ فِي التَّضْحِيَةِ وَالثَّبَاتِ.

إِنَّهَا الثُّلَّةُ الَّتِي سَرَتْ إِلَيْهَا مِنْ رُوحِ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللهِ «الْحُسَيْنِ» دَفْقَةُ الطُّهْرِ وَالنُّبْلِ، وَمِنْ ضَمِيرِهِ شُـــعَاعُ الْهِدَايَةِ، وَمِنْ إِيمَانِهِ الْعَظِيمِ مِشْعَلُ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَخْبُو...

وَمَا «وَهْبُ بْنُ الْكَلْبِيِّ» إِلَّا الْفِدَائِيُّ الَّذِي آثَرَ طَعْمَ الْمَوْتِ عَلَى أَطَايِبِ الْوُجُودِ كُلِّهِ؛ لِأَنَّهُ يَحْلُو بِالشَّهَادَةِ، فَكَأَنَّهُ رَشْفَةٌ مِنَ الْكَوْثَرِ.

خَرَجَ «وَهْبُ بْنُ الْكَلْبِيِّ» مِنْ خِبَائِهِ كَيْ يَتَوَضَّأَ لِيُؤَدِّيَ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ، فَرَأَى عَنْ بُعْـــدٍ غُبَارًا يَتَعَالَى فِي الْأُفُقِ قَدِ اخْتَلَطَ بِالشَّـــفَقِ الْأَحْمَرِ الَّذِي خَلَّفَهُ قُرْصُ الشَّمْسِ وَرَاءَهُ، وَانْتَظَرَ حَتَّى ظَهَرَتْ طَلَائِعُ الْمَوْكِبِ، فَإِذَا

هُوَ بِالْإِمَامِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ.

وَلَمَّا دَنَوْا مِنْهُ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَرَحَّبَ بِهِمْ، ثُمَّ اسْتَأْذَنُوهُ أَنْ يُقِيمُوا خِيَامَهُمْ بِجِوَارِهِ لِيَبِيتُوا لَيْلَتَهُمْ تِلْكَ، فَمَا أَسْرَعَ مَا قَبِلَ وَكَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ.

وَفِي خَيْمَةِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَلَسُوا يَتَسَامَرُونَ فِي طَاعَةِ اللهِ ذِكْرًا وَصَلَاةً وَعِبَادَةً وَدُعَاءً، وَعَرَفَ «وَهْبُ بْنُ الْكَلْبِيِّ» هَدَفَ الْمَسِيرَةِ وَغَايَتَهَا، فَطَلَبَ إِلَى «الْحُسَيْنِ» أَنْ يَقْبَلَ صُحْبَتَهُ، فَشَكَرَهُ دَاعِيًا لَهُ اللهَ تَعَالَى.

وَكَانَ «وَهْبٌ» حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، وَحِينَ عَادَ إِلَى خَيْمَتِهِ حَدَّثَ أُمَّهُ وَزَوْجَتَهُ بِأَنَّهُ سَوْفَ يَرْحَلُ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ مَعَ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَنْصُرُهُ وَيُؤَيِّدُهُ.

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ:

- بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا بُنَيَّ، إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالنُّصْرَةِ وَالتَّأْيِيدِ آلُ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. كَانَ اللهُ مَعَكَ حَافِظًا وَرَاعِيًا.

وَقَالَتْ زَوْجَتُهُ:

- وَهَلْ تَمْضِي وَحْدَكَ وَتَتْرُكُنَا؟! لَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ، خُذْنِي مَعَكَ.

فَقَالَ «وَهْبٌ»:

- اسْمَعِي يَا ابْنَةَ الْعَمِّ:

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا

وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ

فَامْكُثِي هُنَا بِجِـوَارِ أُمِّي، فَأَنْتُمَـا أَوْلَى النَّاسِ بِتَرْبِيَـةِ الْجَنِينِ الَّذِي تَحْمِلِينَ، فَلَعَلِّي أُرْزَقُ الشَّهَادَةَ، وَإِنْ عُدْتُ غَانِمًا سَالِمًا فَبِهَا وَنِعْمَتْ.

وَمَضَى الْحِـوَارُ بَيْنَ «وَهْـبٍ» وَزَوْجَتِهِ هَادِئًا حِينًـا وَعَنِيفًا أَحْيَانًا، وَاسْتَمَرَّا فِي ذَلِكَ حَتَّى انْبَلَجَ الْفَجْرُ، وَلَمْ يَعْرِفِ النَّوْمُ سَبِيلًا إِلَى جْفَنَيْهِمَا.

وَحِينَ حَاوَلَ «وَهْبٌ» أَنْ يَتَهَيَّأَ لِلْخُرُوجِ، تَشَبَّثَتْ بِهِ زَوْجَتُهُ قَائِلَةً:

- يَا «وَهْبُ» ... أَلَيْسَ لَنَا فِي نِسْـوَةِ بَيْتِ رَسُـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُسْوَةٌ؟!

فَسَكَتْ وَلَمْ يُحِرْ جَوَابًا، ثُمَّ قَالَ:

- هَلُمِّي...

فَقَالَتْ أُمُّهُ:

- وَأَنَا مَعَكُمَا يَا بُنَيَّ، فَمَا قِيمَةُ الْحَيَاةِ بَعْدَكُمَا؟!

وَسَارَ رَكْبُ «الْحُسَـيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ أَنِ انْضَمَّ إِلَيْهِ «وَهْبُ بْنُ الْكَلْبِيِّ» وَأُمُّهُ وَزَوْجَتُهُ بِاتِّجَاهِ الْكُوفَـةِ، حَتَّى بَلَغُوا «كَرْبَلَاءَ» فَصَدَمَهُمْ جَيْشُ «ابْنِ زِيَادٍ» بِقِيَادَةِ «عُمَرَ بْنِ سَعْدٍ»، وَمِنْ قَبْلِهِ طَلِيعَةُ الْجَيْشِ بِقِيَادَةِ «الْحُرِّ بْنِ يَزِيدَ التَّمِيمِيِّ».

وَشَـهِدَتْ أَرْضُ الْبُطُولَاتِ فِي ذَلِـكَ الْمَكَانِ الْقَفْـرِ أَعْظَمَ دُرُوسِ التَّضْحِيَةِ وَالْفِدَاءِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ، وَالثَّبَاتِ عَلَى الصِّدْقِ، تَتَلَقَّاهَا أَجْيَالُ الْمُسْلِمِينَ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، وَتَقْتَبِسُ مِنَ الدِّمَاءِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ الَّتِي

أُرِيقَتْ فَوْقَهَا أَنْوَارُ الْهِدَايَةِ، تُبَدِّدُ غَيَاهِبَ الظُّلْمِ وَالتَّعَسُّفِ وَالِاسْتِبْدَادِ.

وَتَوَالَتْ فَوْقَ مِنَصَّةِ «كَرْبَلَاءَ» فُصُولُ رِوَايَةِ الْغَدْرِ وَالْجَوْرِ وَالنِّفَاقِ الَّتِي صَاغَهَا «يَزِيدُ» وَ«ابْنُ زِيَادٍ»، وَأَخْرَجَهَا «ابْنُ سَعْدٍ»، فَأَجْرَمُوا بِحَقِّ اللهِ تَعَالَى، وَبِحَقِّ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَبِحَقِّ التَّارِيخِ، وَبِحَقِّ الْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءَ!!

كَمَا تَوَالَتْ رُؤُوسُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُجَاهِدِينَ تَتَسَاقَطُ، وَدِمَاؤُهُمْ تَنْزِفُ، وَأَطْرَافُهُمْ تَتَمَزَّقُ، وَأَشْلَاؤُهُمْ تَتَبَعْثَرُ، وَأَرْوَاحُهُمْ تَتَصَاعَدُ إِلَى بَارِئِهَا عَزَّ وَجَلَّ، وَنُفُوسُهُمُ الْمُطْمَئِنَّةُ بِالْإِيمَانِ تَؤُوبُ إِلَى رَبِّهَا رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَتَدْخُلُ فِي زُمْرَةِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَتَتَبَوَّأُ أَعْلَى الْمَقَاعِدِ مِنْ جَنَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَمَضَى مَوْكِبُ الشَّهَادَةِ مُتَأَلِّقًا بِنُورِ الدِّمَاءِ الزَّكِيَّةِ، وَإِشْعَاعَاتِهَا الْبَاهِرَةِ، وَاسْتَمَرَّ فِي الْعَطَاءِ السَّخِيِّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ الْحُدُودَ وَلَا الْقُيُودَ.

حَتَّى كَانَ يَوْمُ الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ، وَلَمْ يَبْقَ حَوْلَ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ. فَقَالَتْ أُمُّ «وَهْبٍ» لِوَلَدِهَا:

- قُمْ يَا بُنَيَّ انْصُرِ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ:

- أَفْعَلُ يَا أُمَّاهُ.

قَالَتْ ذَلِكَ وَهِيَ تَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّهَا تَدْفَعُ بِوَلَدِهَا وَفِلْذَةِ كَبِدِهَا إِلَى الْمَوْتِ، كَمَا أَجَابَهَا بِالْإِيجَابِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِأَنَّ مَصِيرَهُ كَمَصِيرِ الَّذِينَ

سَبَقُوهُ مِنَ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ افْتَدَوُا «الْحُسَيْنَ» بِأَرْوَاحِهِمْ، مِثْلَ: «زُهَيْرِ بْنِ الْقَيْنِ»، وَ«عَابِسِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ»، وَ«بُرَيْرِ بْنِ حُضَيْرٍ».

وَحِينَ هَمَّ بِارْتِدَاءِ الدِّرْعِ وَتَهَيَّأَ لِلْخُرُوجِ، قَامَتْ إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ وَتَعَلَّقَتْ بِأَذْيَالِهِ، وَقَالَتْ لَهُ:

- بِاللهِ عَلَيْكَ لَا تَفْجَعْنِي بِنَفْسِكَ، لَقَدْ خَرَجْنَا جَمِيعُنَا مُؤَيِّدِينَ وَمُنَاصِرِينَ؛ نَتَصَوَّرُ بِأَنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْدُو قِتَالَ جَيْشَيْنِ مُتَكَافِئَيْنِ؛ أَمَّا الْآنَ وَقَدْ تَخَلَّى عَنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَنَا إِلَّا الْقَلِيلُ الْقَلِيلُ، فَإِنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الْقِتَالِ وَالنِّزَالِ إِنْ هُوَ إِلَّا ضَرْبٌ مِنَ الْمُحَالِ، فَارْفُقْ بِنَفْسِكَ وَبِي...

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ:

- لَا تَسْمَعْ لِقَوْلِهَا يَا بُنَيَّ؛ وَلَا تُجِبْ إِلَّا نِدَاءَ الْوَاجِبِ وَالضَّمِيرِ؛ فَاللهُ تَعَالَى أَحَقُّ أَنْ تَسْمَعَ لَهُ؛ وَإِنَّهُ لَشَرَفٌ لَكَ وَلَنَا أَنْ تُتَوِّجَ جِهَادَكَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِالْمَوْتِ بَيْنَ يَدَيِ ابْنِ بِنْتِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَجَازَ عَنْ زَوْجَتِهِ وَقَدْ بَلَّلَتْ وَجْهَهَا بِالدُّمُوعِ، وَشَرِقَتْ بِعَبَرَاتِهَا، وَغَصَّتْ بِتَنَهُّدَاتِهَا، وَلَمْ يَسْمَحْ لِنَفْسِهِ أَنْ تَتَجَاذَبَهَا تَيَّارَاتُ الْجَذْبِ وَالشَّدِّ، وَانْدَفَعَ نَحْوَ خَيْمَةِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْمُبَارَزَةِ وَالْقِتَالِ، فَأَذِنَ لَهُ، وَدَعَا لَهُ بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ وَالثَّوَابِ الْعَمِيمِ.

وَتَوَسَّطَ «وَهْبٌ» سَاحَةَ الْقِتَالِ يَصُولُ بِفَرَسِهِ وَيَجُولُ، وَيُنَادِي الْقَوْمَ لِلطَّعْنِ وَالطِّعَانِ.

ثُمَّ الْتَحَـــمَ بِاثْنَيْنِ مِنَ الْأَعْدَاءِ، فَأَخَذَ يُحَاوِرُهُمَا وَيُدَاوِرُهُمَا، يَكِرُّ وَلَا يَفِرُّ، وَيضْرِبُ بِالسَّـــيْفِ تَارَةً وَبِالرُّمْحِ تَارَةً أُخْرَى، وَمَا زَالَ كَذَلِكَ حَتَّى غَدَرَ بِهِ أَحَدُهُمَا مِنَ الْخَلْفِ، وَضَرَبَهُ ضَرْبَةً شَـــدِيدَةً أَصَابَتِ السَّـــاعِدَ فَأَطَنَّتْهُ، فَصَـــرَخَ صَرْخَةً هَائِلَةً ارْتَجَّ لَهَا الْمَـــكَانُ، فَخَرَجَتْ زَوْجَتُهُ مِنْ خَيْمَتِهَا، وَتَنَاوَلَتْ عَمُودًا بِيَدِهَا، وَرَاحَـــتْ تَطْعَنُ وَتَضْرِبُ بِهِ الرَّجُلَيْنِ وَتَذُودُ عَنْ زَوْجِهَا، وَتُرَدِّدُ:

- فِدَاكَ أَبِـــي وَأُمِّي يَا «وَهْبُ».. قَاتِلْ دُونَ الطَّيِّبِيـــنَ الطَّاهِرِينَ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ.

فَمَالَ إِلَيْهَا يَرُدُّهَا إِلَى خَيْمَتِهَا، وَالدِّمَاءُ تَنْزِفُ مِنْ سَـــاعِدِهِ تُبَلِّلُ الثَّرَى، وَهُوَ يَقُولُ:

- وَيْلَكِ! لَقَدْ كُنْتِ قَبْلَ سَـــاعَةٍ تَنْهِينِي عَنِ الْقِتَالِ، وَتَمْنَعِينِي مِنَ الطَّعْنِ وَالنِّزَالِ؛ حِفَاظًا عَـــلَى حَيَاتِي! فَمَا حَمَلَكِ عَلَى مَـــا فَعَلْتِ؟! وَلِمَاذَا غَيَّرْتِ رَأْيَكِ؟! إِنَّهُ لَشَيْءٌ عُجَابٌ!!

فَقَالَتْ:

- لَقَدْ رَأَيْتُ شَيْئًا مَا لِي قَرَارٌ وَلَا صَبْرٌ عَلَيْهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الْإِمَامَ «أَبَا عَبْدِاللهِ» يُنَادِي دَامِعَ الْعَيْنِ، وَقَدْ رَأَى السُّيُوفَ تَنْتَاشُكَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ:

- أَمَا مِنْ نَاصِرٍ؟! أَمَا مِنْ مُعِينٍ؟!

فَارْجِعْ يَا «وَهْبُ».. فَقَاتِلْ حَتَّى تَمُوتَ دُونَهُمْ!

فَرَجَعَ «وَهْبٌ» وَهُوَ أَكْثَرُ حَمَاسًا وَأَشَدُّ انْدِفَاعًا، وَرَاحَ يَرْتَجِزُ وَيُرَدِّدُ:

إِنْ تُنْكِـــرُونِي فَـأَنـا ابْـــنُ الكَلْبِي

سَـــوْفَ تَـرَوْنِي وَتَـــرَوْنَ ضَـــرْبِي

أُدْرِكُ ثَـــأْرِي بَعْـدَ ثَـــأْرِي صَحْبِي

وَأَكْشِـــفُ الْكَـرْبَ أَمَـــامَ الْكَـرْبِ

وَمَا زَالَ يُقَاتِلُ وَيَضْرِبُ غَيْرَ مُبَالٍ بِالْأَلَمِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ مِنْ جَرَّاءِ ذِرَاعِهِ الْمَبْتُورَةِ، وَلَا مِنَ الدِّمَاءِ الْفَائِرَةِ، حَتَّى كَلَّ وَضَعُفَ وَتَشَقَّقَتْ شَفَتَاهُ مِنَ الْعَطَشِ...

وَمَـا هِيَ إِلَّا لَحَظَاتٌ حَتَّى كَانَ طَرِيحَ الْأَرْضِ، يَتَخَبَّطُ تَخَبُّطَ الْكَبْشِ الذَّبِيحِ!!

رَأَتْ ذَلِـكَ زَوْجَتُهُ فَمَـا عَادَتْ تُطِيقُ صَبْرًا وَلَا قُعُـودًا، فَكَرَّتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالْعَمُودِ الَّذِي كَانَتْ تَحْمِلُهُ مِنْ قَبْلُ، وَمَا زَالَتْ تَضْرِبُ بِهِ حَتَّى تَكَسَّرَ، وَخَشِيَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يُصِيبُوهَا بِسُوءٍ، فَبَادَرَ إِلَيْهَا وَاسْتَنْقَذَهَا، وَعَادَ بِهَا إِلَى خَيْمَتِهَا.

كَانَـتْ زَوْجَةُ «وَهْـبِ بْنِ الْكَلْبِيِّ» قَـدْ نَالَتْ بِعَمُودِهَـا وَاحِدًا مِنَ الْفَارِسَيْنِ اللَّذَيْنِ قَتَلَا زَوْجَهَا، فَأَرْدَتْهُ قَتِيلًا، وَحَزَّ ذَلِكَ فِي نَفْسِ «الشِّمِرِ»، فَبَيَّتَ النِّيَّةَ عَلَى قَتْلِهَا!

فَاسْـتَدْعَى إِلَيْهِ مَوْلًى لَهُ، وَحَثَّهُ عَلَى التَّسَـلُّلِ إِلَى خَيْمَتِهَا وَقَتْلِهَا، كَمَا وَعَدَهُ وَمَنَّاهُ بِالْعَطَاءِ.

فَخَرَجَ هَـذَا الْمَوْلَى عَلَى حِيـنِ غَفْلَةٍ مِنْ أَعْيُنِ النَّـاسِ، حَتَّى حَاذَى الْخِبَاءَ، وَبِحَـذَرٍ بَالِغٍ دَخَلَ عَلَيْهَا، وَكَمَّمَ فَاهَـا وَذَبَحَهَا ذَبْحَ النِّعَاجِ!! وَعَادَ مِنْ حَيْثُ أَتَى دُونَ أَنْ يُحِسَّ بِهِ أَحَدٌ!

وَزَفَّتِ الْمَلَائِكَةُ الْعَرِيسَيْنِ الشَّهِيدَيْنِ «وَهْبَ بْنَ الْكَلْبِيِّ» وَزَوْجَتَهُ إِلَى عُشِّ الزَّوْجِيَّةِ الْجَدِيدِ، حَيْثُ الرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ وَجَنَّةُ الرَّحْمَانِ.

كَلِمَةٌ أَخِيرَةٌ

إِنَّ التَّحَوُّلَ فِي مَوْقِفِ زَوْجَةِ «وَهْبٍ» يَسْتَدْعِي مِنَّا أَنْ نَقِفَ عِنْدَهُ وَقْفَةَ تَأَمُّلٍ وَتَدَبُّرٍ، وَأَنْ لَا نَمُرَّ بِهِ مُرُورًا عَابِرًا وَسَرِيعًا.

وَمِنْ خِلَالِ جَوَابِهَا لِزَوْجِهَا تَتَكَشَّـفُ لَنَا الدَّوَافِعُ الَّتِي حَدَتْ بِهَا إِلَى التَّبَدُّلِ وَالتَّغَيُّرِ، وَالْعَوَامِلُ الَّتِي جَاشَتْ فِي نَفْسِهَا وَاضْطَرَمَتْ فِي فُؤَادِهَا.

لَقَدْ رَأَتِ «الْحُسَيْنَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ:

- أَمَا مِنْ نَاصِرٍ؟! أَمَا مِنْ مُعِينٍ؟!

وَيَتَّجِهُ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ.

فَتَعَلَّقَتْ عَيْنَاهَا بِالسَّـــمَاءِ، وَرَنَا قَلْبُهَا إِلَى الْعَلْيَاءِ، وَسَمَتْ رُوحُهَا إِلَى الْجَوْزَاءِ.

إِنَّ السَّمَاءَ هِيَ الْمَصْدَرُ وَالْمُعِينُ، وَهِيَ مَوْئِلُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَهِيَ مُسْتَوْدَعُ الرُّوحِ الْأَمِينِ.

وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي بَعْضِ سُجُودِهِ:

ـ اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى الْإِيمَانِ.

إِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْ زَوْجَةِ «وَهْبٍ» وَنِدَاءِ «الْحُسَـــيْنِ» وَالسَّمَاءِ رِبَاطًا وَثِيقًا، وَحَبْلًا مَتِينًا، وَحَلْقَةَ إِيمَانٍ، وَإِحَاطَةَ فِدَاءٍ، وَوِسَامَ تَضْحِيَةٍ وَوَفَاءٍ.

***

رَحِمَ اللهُ «وَهْبَ بْـــنَ الْكَلْبِيِّ» وَزَوْجَتَهُ، وَقَافِلَةَ الشُّـــهَدَاءِ وَالْأَبْرَارِ، شُهَدَاءِ كَرْبَلَاءَ، وَوَفَّاهُمْ حَقَّهُمْ مِنَ الْعَطَاءِ.

***

سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَنَفِيُّ

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

***

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ أَحَبَّ لِلّٰهِ وَأَبْغَضَ لِلّٰهِ، وَأَعْطَى لِلّٰهِ، وَمَنَعَ لِلّٰهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ».

***

وَقَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَرَاكَ تُنْشِـــئُ يَا غَمَامُ عَلَى الْـــوَرَى

ظِـــلًّا وَتَـــرْوِي مِنْ حَيَاكَ ظِمَـاءَهَا

وَقُـلُـــوبُ أَبْنَـاءِ النَّـــبِيِّ تَفَطَّـرَتْ

عَطَشًـــا بِقَفْـرٍ أَرْمَضَـــتْ أَشْلَاءَهَا

فَثَـــوَتْ بِأَفْئِـدَةٍ صَـــوَادٍ لَـمْ تَجِـدْ

رِيًّـا يَبُـــلُّ سِـــوَى الرَّدَى أَحْشَاءَهَا

مَـــا بَـــالُ صَائِمَةِ الْهَوَاجِرِ أَفْطَـرَتْ

بِـــدَمٍ، وَهَلْ تَرْوِي الدِّمَاءُ ظِمَاءَهَا؟!

***

تَوْطِئَةٌ

إِنَّ الصُّوَرَ الْبُطُولِيَّةَ الَّتِي اسْتُشْــهِدَ عَلَيْهَا «الْحُسَــيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَإِخْوَانُــهُ وَأَصْحَابُهُ يَوْمَ الطَّفِّ تَجْعَلُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فَذًّا لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ.

وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الشُّــجْعَانِ وَالْفُرْسَانِ وَالْمُسْلِمِينَ لَيَخُوضُونَ الْمَعَامِعَ وَالْحُرُوبَ، وَهُمْ بَيْنَ أَمَلَيْنِ: نَصْرٍ أَوْ شَهَادَةٍ، وَأَوَّلُهُمَا أَقْرَبُ إِلَى نُفُوسِهِمْ، وَأَشَدُّ إِلَى ذَوَاتِهِمْ؛ رَغْبَةً وَهَدَفًا.

وَلَكِنَّ «الْحُسَــيْنَ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَإِخْوَانَــهُ وَأَصْحَابَهُ لَمْ يَخْطُرْ لَهُمُ النَّصْرُ الْمَادِّيُّ عَلَى بَــالٍ أَبَدًا، وَقَدْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَنْدَفِعُ حِينَ يَأْتِي دَوْرُهُ وَهُــوَ يَعْلَمُ يَقِينًا أَنَّهُ إِلَى الْمَوْتِ صَائِــرٌ، وَبِهَذَا كَانَ يَرَى أَنَّ النَّصْرَ الَّذِي سَــوْفَ يُحَقِّقُهُ مِنْ خِلَالِ الشَّهَادَةِ أَعْظَمُ وَأَسْــمَى مِنْ غَلَبَةِ الدُّنْيَا وَبُلُوغِ السُّلْطَانِ.

وَ«سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَنَفِيُّ» ـ بَطَلُنَا الْيَوْمَ وَشَهِيدُ كَرْبَلَاءَ ـ صُورَتُهُ فِي اسْتِشْهَادِهِ مِنْ أَرْفَعِ الصُّوَرِ وَأَكْرَمِهَا، وَأَشَدِّهَا تَأْثِيرًا عَلَى نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ عَلَى رَغْــمِ ضَآلَةِ دَوْرِهِ وَقِصَرِ حَرَكَتِهِ، فَقَدْ جَعَــلَ مِنَ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي فَاضَتْ فِيهَا رُوحُــهُ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى مِثَالًا أَعْلَى فِي الِاسْتِشْــهَادِ؛ فَحِينَ

اسْتَعَرَ الْقَتْلُ فِي صُفُوفِ جَيْشِ «ابْنِ سَعْدٍ»، وَتَسَاقَطَ فُرْسَانُهُ صَرْعَى عَنْ طَرِيقِ الْمُبَارَزَةِ الْفَرْدِيَّةِ، نَصَحَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ أَنْ يَكُفَّ عَنْ تَلْبِيَةِ نِدَاءِ الْمُبَارِزِينَ، وَأَنْ يَخُوضَ مَعْرَكَةَ التَّصْفِيَةِ، وَبِهَذَا يَقْضِي عَلَى الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَةِ مِنْ رِجَالِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَيَحْسِمُ الْمَوْقِفَ.

وَأَصَاخَ «ابْنُ سَعْدٍ» بِسَمْعِهِ إِلَى النَّاصِحِ، وَرَأَى رَأْيَهُ، ثُمَّ عَبَّأَ قُوَّاتِهِ وَاسْتَعَدَّ لِلْقِتَالِ.

وَعَرَفَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَا أَزْمَعَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ، فَطَلَبَ إِلَى أَصْحَابِهِ أَنْ يَجْعَلُوا خِيَامَهُمْ مُتَدَاخِلَةً بِبَعْضِهَا، ثُمَّ لِيَضْرِمُوا النَّارَ مِنْ وَرَائِهَا؛ حَتَّى يَمْنَعُوا الْعَدُوَّ مِنْ مُقَاتَلَتِهِمْ عَلَى عِدَّةِ جِهَاتٍ، فَلَا يُقَابِلُهُمْ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ وَاحِدَةٍ.

ثُمَّ حَمَلَ «شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ» فِي الْمَيْسَرَةِ مِنْ جَيْشِ «ابْنِ سَعْدٍ» عَلَى أَهْلِ الْمَيْسَرَةِ مِنَ «الْحُسَيْنِ» وَأَصْحَابِهِ، فَثَبَتُوا لَهُ، وَطَاعَنُوهُ هُوَ وَأَصْحَابَهُ، وَقَاتَلُوهُ قِتَالًا شَدِيدًا، وَإِنَّمَا هُمُ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ فَارِسًا، وَلَا يَحْمِلُونَ عَلَى جَانِبٍ مِنْ جُنْدِ أَهْلِ الْكُوفَةِ إِلَّا كَشَفُوهُ!

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ «عَزْرَةُ بْنُ قَيْسٍ» ـ وَكَانَ عَلَى جُنْدِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ـ بَعَثَ إِلَى «ابْنِ سَعْدٍ» يَقُولُ لَهُ:

ـ أَمَا تَرَى مَا تَلْقَى خَيْلِي هَذَا الْيَوْمَ مِنْ هَذِهِ الْعُدَّةِ الْيَسِيرَةِ؟! ابْعَثْ إِلَيْهِمُ الرِّجَالَ وَالرُّمَاةَ.

فَقَالَ «ابْنُ سَعْدٍ» لِـ «شَيْثِ بْنِ رِبْعِيٍّ»:

- أَلَا تَقْدَمُ إِلَيْهِمْ؟

فَقَالَ:

- سُبْحَانَ اللهِ!! أَتَعْمِدُ إِلَى شَيْخٍ مُضَرَ وَأَهْلِ الْمِصْرِ عَامَّةً تَبْعَثُهُ فِي الرُّمَاةِ؟! لَمْ تَجِدْ مَنْ تَنْدُبُ لِهَذَا وَيُجْزِئُ عَنْكَ غَيْرِي؟!

وَكَانَ «شَيْثُ بْنُ رِبْعِيٍّ» مِمَّنْ يَكْرَهُونَ الْقِتَالَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ يَوْمًا قَوْلُهُ:

- لَا يُعْطِي اللهُ أَهْلَ هَذَا الْمِصْرِ خَيْرًا أَبَدًا - يَعْنِي أَهْلَ الْكُوفَةِ - وَلَا يُسَدِّدُهُمْ لِرُشْدٍ! أَلَا تَعْجَبُونَ أَنَّا قَاتَلْنَا مَعَ «عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» وَمَعَ ابْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ «آلَ أَبِي سُفْيَانَ» خَمْسَ سِنِينَ، ثُمَّ عَدَوْنَا عَلَى ابْنِهِ وَهُوَ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ نُقَاتِلُهُ مَعَ «آلِ مُعَاوِيَةَ»؟!!

وَحِينَ لَمْ يَسْتَجِبْ «شَيْثُ بْنُ رِبْعِيٍّ» إِلَى «ابْنِ سَعْدٍ»، اسْتَدْعَى إِلَيْهِ «الْحُصَيْنَ بْنَ تَمِيمٍ» وَأَرْسَلَهُ فِي خَمْسِمِئَةٍ مِنَ الرُّمَاةِ، فَأَقْبَلُوا حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنَ «الْحُسَيْنِ» وَأَصْحَابِهِ رَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ عَقَرُوا خُيُولَهُمْ، وَاسْتَغْنَوْا عَنْهَا، وَأَصْبَحُوا رَجَّالَةً كُلُّهُمْ.

وَكَانَ أَوَّلُ فَارِسٍ عُقِرَ فَرَسُهُ مِنْ أَصْحَابِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «الْحُرَّ بْنَ يَزِيدَ التَّمِيمِيَّ»، فَوَثَبَ عَنْ فَرَسِهِ كَأَنَّهُ لَيْثٌ، وَالسَّيْفُ فِي يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

إِنْ تَعْقِـــرُوا بِي فَـأَنَـــا ابْـنُ الْحُـــرِّ

أَشْجَـــعُ مِـــنْ ذِي لِبَـــدٍ هِـــزَبْـــرِ

وَاسْـــتَمَرَّ الْقِتَالُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ، وَثَبَتَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَصْحَابُهُ ثُبُوتَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، وَجَيْشُ «ابْنِ سَعْدٍ» لَمْ يُحَقِّـــقْ هَدَفًا يُذْكَرُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُقَاتِلُ لُيُوثًا كَوَاسِـــرَ، قَدْ أَحْكَمُوا خُطَّتَهُمْ وَرَصُّوا صُفُوفَهُمْ، وَقَارَبُوا بَيْنَ خِيَامِهِمْ.

وَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ «ابْنُ سَـــعْدٍ» أَرْسَـــلَ بَعْضَ رِجَالِـــهِ؛ لِيُقَوِّضُوا تِلْكَ الْخِيَامَ وَيَفْتَحُوا ثُغُرَاتٍ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ، فَأَخَذَ الثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعَةُ مِنْ أَصْحَابِ «الْحُسَـــيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَتَخَلَّلُونَ الْخِيَامَ وَيَحْمِلُونَ عَلَى الرَّجُلِ وَهُوَ يُقَوِّضُ وَيَنْتَهِبُ فَيَقْتُلُونَهُ.

عِنْدَئِذٍ صَرَخَ «ابْنُ سَعْدٍ» فِي أَصْحَابِهِ قَائِلًا:

- احْرِقُوهَا بِالنَّارِ، وَلَا تَدْخُلُوا خَيْمَةً، وَلَا تُقَوِّضُوهَا!

فَقَالَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِإِخْوَانِهِ:

- دَعُوهُمْ فَلْيَحْرِقُوهَا، فَإِنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ لَمْ يَسْـــتَطِيعُوا أَنْ يَجُوزُوا إِلَيْكُمْ مِنْهَا.

وَكَذَلِكَ كَانَ، وَأَخَذُوا لَا يُقَاتِلُونَهُمْ إِلَّا مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ.

***

وَأَنْتَ يَا أَخِي الْقَارِئَ لَوْ رُحْتَ تَبْحَثُ فِي خِضَمِّ الْمَعْمَعَانِ عَنْ «سَعِيدِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ الْحَنَفِيِّ» بَطَلِنَا الْيَــوْمَ، لَوَجَدْتَهُ لَصِيقًا بِالْإِمَامِ «أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَــيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كَالدِّرْعِ يَحْمِيهِ مِنْ كُلِّ سَهْمٍ، وَكَالتُّرْسِ يَقِيهِ مِنْ كُلِّ سَيْفٍ.

لَمْ يَجِدْ «سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ» مَوْقِفًا أَشْرَفَ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ، وَلَا جَوْلَةً فِي حَوْمَةِ الْقِتَالِ أَكْرَمَ وَأَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ الْجَوْلَةِ.

وَلَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَرِّخُونَ عَنْ «سَــعِيدٍ» أَنَّهُ قَدْ كَثُرَتْ جِرَاحَاتُهُ، وَسَالَتْ دِمَاؤُهُ، وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِسَبَبِهَا أَلَمًا وَلَا رَهَقًا!

وَلَئِنْ كَانَ مَوْقِفُ «سَــعِيدٍ» هَــذَا لَافِتًا لِلْأَنْظَارِ، دَاعِيًــا إِلَى الْإِكْبَارِ، فَــإِنَّ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَرْوَعَ لِقَاءٍ مَعَ اللهِ تَعَالَى، وَأَسْــمَى صُورَةٍ مِنْ صُوَرِ الِاسْتِشْهَادِ.

وَبَيْنَمَا الْقِتَالُ عَلَى أَشُدِّهِ، خَرَجَتِ امْرَأَةُ « عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَيْرٍ » إِلَى زَوْجِهَا ـ وَقَدْ صُرِعَ ـ حَتَّى جَلَسَتْ عِنْدَ رَأْسِهِ تَمْسَحُ عَنْهُ التُّرَابَ، وَتَقُولُ:

ـ هَنِيئًا لَكَ الْجَنَّةُ.

وَأَبْصَرَ بِهَا «شَمِرُ بْنُ ذِي الْجَوْشَنِ»، فَقَالَ لِغُلَامٍ لَهُ اسْمُهُ «رُسْتُمُ»:

ـ اضْرِبْ رَأْسَهَا بِالْعَمُودِ!

فَضَرَبَ رَأْسَهَا فَشَدَخَهُ، فَمَاتَتْ مَكَانَهَا!

ثُمَّ حَمَلَ «شَـــمِرٌ» عَلَى مُعَسْكَرِ «الْحُسَـــيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَتَّى بَلَغَ خَيْمَتَهُ، ثُمَّ نَادَى:

- عَلَيَّ بِالنَّارِ حَتَّى أُحَرِّقَ هَذَا الْبَيْتَ عَلَى أَهْلِهِ!

فَصَاحَ النِّسَـــاءُ وَخَرَجْنَ مِنَ الْفُسْطَاطِ خَائِفَاتٍ مَذْعُورَاتٍ!! فَصَرَخَ «الْحُسَيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- يَا «ابْنَ ذِي الْجَوْشَـــنِ» أَنْـــتَ تَدْعُو بِالنَّارِ لِتُحْـــرِقَ بَيْتِي عَلَى أَهْلِي؟! حَرَّقَكَ اللهُ بِالنَّارِ!

وَتَصَدَّى «حُمَيْدُ بْنُ مُسْـــلِمٍ» وَكَانَ فِي جَيْشِ «ابْنِ سَعْدٍ» لِـ «شَمِرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ» فَقَالَ لَهُ:

- سُـــبْحَانَ اللهِ! إِنَّ هَذَا لَا يَصْلُـــحُ لَكَ وَلَا يَلِيقُ بِـــكَ، أَتُرِيدُ أَنْ تَجْمَعَ عَلَى نَفْسِـــكَ خَصْلَتَيْنِ: تُعَذِّبُ بِعَذَابِ اللهِ (أَيِ الْحَرْقِ بِالنَّارِ) وَتَقْتُلُ الْوِلْدَانَ وَالنِّسَاءَ؟!! وَاللهِ إِنَّ فِي قَتْلِكَ الرِّجَالَ لَمَا تُرْضِي بِهِ أَمِيرَكَ.

فَقَالَ «شَمِرٌ»:

- مَنْ أَنْتَ؟

فَقَالَ «حُمَيْدٌ»:

- لَا أُخْبِرُكَ مَنْ أَنَا.

وَخَشِيَ إِنْ أَخْبَرَهُ أَنْ يَضُرَّهُ عِنْدَ سَيِّدِهِ «ابْنِ زِيَادٍ».

وَحَمَلَ «زُهَيْرُ بْنُ الْقَيْنِ» مَعَ عَشَـــرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى «شَـــمِرِ بْنِ ذِي

الْجَوْشَنِ»، فَكَشَفُوهُمْ عَنِ الْبُيُوتِ وَأَجْلَوْهُمْ عَنْهَا، وَصَرَعُوا «أَبَا عَزَّةَ الضَّبَابِيَّ» مِنْ أَصْحَابِ «شَمِرٍ».

عِنْدَئِذٍ تَكَاثَرَ أَصْحَابُ «شَمِرٍ» وَتَنَادَوْا، وَكَرُّوا عَلَى «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَصْحَابِهِ، وَاشْتَبَكُوا فِي قِتَالٍ مَرِيرٍ، وَجِهَادٍ وَجِلَادٍ، وَطَعْنٍ وَضَرْبٍ...

وَتَسَاقَطَ إِخْوَانُ «الْحُسَيْنِ» صَرْعَى...

وَإِذَا مَا اسْتُشْهِدَ وَاحِدُهُمْ، تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي صُفُوفِهِمْ؛ لِقِلَّتِهِمْ. وَلَوْ مَاتَ مِنْ أَصْحَابِ «ابْنِ سَعْدٍ» الْعَشَرَاتُ لَمْ يَظْهَرْ ذَلِكَ لِكَثْرَتِهِمْ.

وَرَأَى ذَلِكَ «أَبُو ثُمَامَةَ الصَّارَنْدِيُّ»، فَقَالَ لِـ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

- يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، نَفْسِي لَكَ الْفِدَاءُ... إِنِّي أَرَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدِ اقْتَرَبُوا مِنْكَ، وَوَاللهِ لَا تُقْتَلُ حَتَّى أُقْتَلَ دُونَكَ، وَأُحِبُّ أَنْ أَلْقَى رَبِّي وَقَدْ صَلَّيْتُ هَذِهِ الصَّلَاةَ الَّتِي دَنَا وَقْتُهَا.

فَرَفَعَ «الْحُسَيْنُ» إِلَيْهِ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ:

- ذَكَرْتَ الصَّلَاةَ، جَعَلَكَ اللهُ مِنَ الْمُصَلِّينَ الذَّاكِرِينَ، نَعَمْ هَذَا أَوَّلُ وَقْتِهَا، سَلُوا الْقَوْمَ أَنْ يَكُفُّوا عَنَّا حَتَّى نُصَلِّيَ.

فَلَمَّا نَادَى الْمُنَادِي بِالْهُدْنَةِ لِلصَّلَاةِ، قَالَ «الْحُصَيْنُ بْنُ تَمِيمٍ» مِنْ جَيْشِ «ابْنِ سَعْدٍ» لِـ «الْحُسَيْنِ» وَأَصْحَابِهِ:

- إِنَّهَا لَا تُقْبَلُ مِنْكُمْ!

فَرَدَّ عَلَيْهِ «حَبِيبُ بْنُ مُظَاهِرٍ»:

ـ لَا تُقْبَلُ ـ زَعَمْتَ ـ الصَّلَاةُ مِنْ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَتُقْبَلُ مِنْكَ يَا حِمَارُ!!

ثُمَّ اشْتَبَكَا، وَحَمَلَ «الْحُصَيْنُ» عَلَى «حَبِيبٍ» الَّذِي ضَرَبَ وَجْهَ فَرَسِ «الْحُصَيْنِ» بِالسَّيْفِ فَسَقَطَ، وَحَمَلَهُ أَصْحَابُهُ وَاسْتَنْقَذُوهُ، ثُمَّ أَنْشَدَ «حَبِيبٌ»:

أُقْسِمُ لَوْ كُنَّا لَكُمْ أَعْدَادَا

أَوْ شَطْرَكُمْ[1] وَلَّيْتُمُ أَكْدَادَا[2]

يَا شَرَّ قَوْمٍ حَسَبًا وَآدَا[3]

وَأَخَذَ يَضْرِبُ عَلَى مَنْكِبِ «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَيَقُولُ لَهُ:

أَقْدِمْ هُدِيتَ هَادِيًا مَهْدِيًّا

فَالْيَوْمَ تَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّا

وَحَسَنًا وَالْمُرْتَضَى عَلِيًّا

وَذَا الْجَنَاحَيْنِ الْفَتَى الْكَمِيَّا[4]

وَأَسَدَ اللهِ الشَّهِيدَ الْحَيَّا[5]

---

(١) نصفكم.
(٢) جماعات.
(٣) أهلًا.
(٤) ذو الجناحين: جعفر بن أبي طالب.
(٥) أسد الله: حمزة بن عبد المطلب.

ثُمَّ كَرَّ جَمَاعَاتٌ مِنْ جَيْشِ «ابْنِ سَــعْدٍ» عَلَى «حَبِيــبٍ» وَأَحَاطُوا بِهِ وَأَرْهَقُوهُ طَعْنًا وَضَرْبًا، وَغَدَرَ بِهِ «بُدَيْلُ بْنُ صُرَيْمٍ» فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى رَأْسِهِ مِنَ الْخَلْفِ ضَرْبَةً قَاتِلَةً!

❊❊❊

ثُمَّ قَامَ «الْحُسَــيْنُ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُصَلِّي بِبَعْــضِ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ صَلَاةَ الْخَوْفِ.

وَوَقَفَ «سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْحَنَفِيُّ» بِإِزَاءِ «أَبِي عَبْدِ اللهِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقِيهِ السِّــهَامَ، وَيَحْفَظُهُ مِنَ النِّبَالِ؛ يَتَلَقَّاهَا بِجِسْمِهِ، وَمَا زَالَ يُرْمَى حَتَّى سَــقَطَ صَرِيعًا إِلَى الْأَرْضِ، وَبَيْنَمَا كَانَ يَلْفِظُ أَنْفَاسَهُ الْأَخِيرَةَ، أَخَذَ يُرَدِّدُ دَاعِيًا:

- اللَّهُمَّ الْعَنْهُمْ لَعْنَ عَادٍ وَثَمُودَ، اللَّهُمَّ بَلِّغْ نَبِيَّكَ عَنِّي السَّــلَامَ، وَأَبْلِغْهُ عَنِّي مَا لَقِيتُ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ، فَإِنِّي أَرَدْتُ بِذَلِكَ ثَوَابَكَ وَنُصْرَةَ ذُرِّيَّةِ نَبِيِّكَ «مُحَمَّدٍ» رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَارْزُقْنِي مُرَافَقَتَهُ فِي دَارِ الْخُلُودِ.

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى «الْحُسَيْنِ» رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ:

- هَلْ وَفَّيْتُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ؟

فَقَالَ «الْحُسَيْنُ»:

- نَعَمْ، وَأَنْتَ أَمَامِي فِي الْجَنَّةِ.

ثُمَّ قَضَى نَحْبَهُ.

***

رَحِمَ اللهُ «سَـــعِيدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْحَنَفِيَّ» شَهِيدَ صَلَاةِ «كَرْبَلَاءَ»، وَأَنْزَلَهُ مَنَازِلَ الْأَبْرَارِ الصَّادِقِينَ الصَّالِحِينَ، وَحَشَرَنَا مَعَهُ فِي جَنَّةِ نَعِيمٍ.

***